



حَوَالِيَات كلية الآداب

تصدر عن كلية الآداب - جامعة الكويت

الرسالة الثالثة عشرة : في الأدب

لورنس ومحفوظ
دراسة أدبية سيكولوجية مقارنة

د. محمد حبيب الدريوي
نظم اللغة الانجليزية وآدابها - جامعة الكويت



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

كتابخانه و مرکز اطلاع رسانی
بنیاد دایرة المعارف اسلامی

حَوَلیات کلیة الآداب

تصدر عن کلیة الآداب - جامعة الكويت

دورية علمية منتظمة تتضمن مجموعة
من الدراسات والبحوث التي تعالج بأصالة
موضوعات وقضايا، ومشكلات
علمية في مجالات الأدب والفلسفة
والتاريخ والاجتماع والجغرافيا وعلم
النفس وتمثل معينا علميا للباحثين العرب.

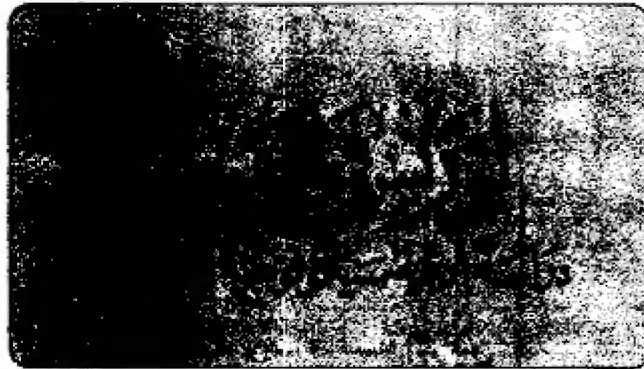
الحولیة الثالثة - الرسالة الثالثة عشرة

١٩٨٢ - ١٤٠٢



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الرسالة الثالثة عشرة



مركز تحقيقات الكويت لدراسات عربية

د. محمد رجب الدريويش

قسم اللغة الانجليزية وآدابها - جامعة الكويت

حوليات كلية الآداب - المجلد الثالث - ١٩٨٢ - ١٤٠٢

نبذة عن المؤلف

د. محمد رجاء عبد الرحمن
الدريني

• دكتوراه في الأدب الانجليزي

١٩٧٧

• مدرس الرواية الانجليزية

والقصص البوتوي

من انتاجه العلمي

• عدد من القصص القصيرة

• رواية عليا (١٩٦٥)

• ترجمة اربع مسرحيات منها:

— الناشر، آرثر ميللر (١٩٨٠)

— دنيا زوال، موسى هارت وجورج

كوفمان (١٩٨١)

• ترجمة كتاب الايديولوجيا

والبوتوي، كارل مانهايم (١٩٨٠)

محتوى البحث

الصفحة

٧	• ملخص
٨	• تمهيد
١٠	• العلاقات الأسرية وأثرها على الابناء
٢٣	• اللاصدااء الكلاسيكية
٢٣	أولا : قصة الملك أوديب
	ثانيا : قصة أورست
٥٩	ثالثا : زواج (بلوتو) و (بيزيسفون)
٦١	رابعا : ميديا زطفلاها
٦٣	• أصدقاء أخـــــرى
٦٦	• الهوامـــــش
٦٩	• المصادر
	المراجع العربية
	المراجع الاجنبية
٧٤	• الملخص بالانجليزية



مرکز تحقیقات کامپیوتر در علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

لَوْ نَسَرُّ وَمَخْفُوظٌ

دراسة أدبية سيكولوجية مُقارَنة

د. محمد حبيب الدين

هذا البحث دراسة مقارنة لروايتين أحدهما انجليزية هي أبناء وعشاق التي صدرت عام ١٩١٣ والثانية عربية مصرية هي السراب التي نشرت عام ١٩٤٨.

يبين البحث ان الروائتين تلتقيان في المضمون وتعالجان موضوعات واحدة أهمها مضار الزواج غير المتكافي، على العلاقات بين الزوجين وعلى بناء الاسرة في المجتمع الابوي. وتتمثل هذه المضار في قيام الخلاف والخضام بدل الألفة والوثام بين الزوجين، وتتمزق الاسرة الى معسكرين متعادين هما معسكر الأب ومعسكر الأم، ووقوف الابناء بجانب أمهم ضد أبهم، ونشوء العقدة الاوديبية عند بعضهم في مرحلة الطفولة وتسلط الام على ابنائها واستبدادها بهم.

و يبين البحث ان الروائتين تصوران مرحلة المراهقة لدى الأبناء وما قد يحدث فيها من صراع بين الأم وأبنائها، حين يتوق الاولاد الى التحرر والانطلاق، وتقوم الأم بمعارضة هذا النزوع وعرقلة، فينجم عن ذلك نشوء العقدة الأورستية لدى الأبناء وظهور عقدة ميديا لدى الأمهات.

كذلك يعالج البحث الأصداء الكلاسيكية اليونانية التي تتردد في كل من الروائتين، و يركز بصورة خاصة على قصة الملك أوديب، وقصة (أورست) مع أمه (كلايتمنسترا)، وأسطورة زواج (بلوتو) من (بيرسيفون)، وقصة الملكة ميديا مع طفليها. و يعطي البحث ملخصاً لهذه القصص، و يشرح معانيها ومضامينها التي أصبحت كنزاً تغرف منه العلوم النفسية و ينتفع به كتاب الروايات، و يبين انعكاسات هذه المعاني والمضامين في الروائتين موضوع البحث.

بسم الله الرحمن الرحيم

لؤلؤة سر ومخفوف

دراسة أدبية سيكولوجية مقارنة

د. محمد حجاز الدين

هذا البحث دراسة مقارنة لروائيتين احدهما انجليزية هي ابنة وعشاق التي صدرت عام ١٩١٣ والثانية عربية مصرية هي السراب التي نشرت عام ١٩٤٨.

يبين البحث ان الروائيتين تلتقيان في المضمون وتعالجان موضوعات واحدة اهمها مضار الزواج غير المتكافيء على العلاقات بين الزوجين وعلى بناء الاسرة في المجتمع الابوي. وتتمثل هذه المضار في قيام الخلاف والخصام بدل الألفة والوثام بين الزوجين، وتَمَرُّق الاسرة الى معسكرين متعادين هما معسكر الأب ومعسكر الأم، ووقوف الابناء بجانب أمهم ضد ابيهم، ونشوء العقدة الاديبية عند بعضهم في مرحلة الطفولة وتسلط الام على ابنائها واستبدادها بهم.

و يبين البحث ان الروائيتين تصوران مرحلة المراهقة لدى الأبناء وما قد يحدث فيها من صراع بين الأم وأبنائها، حين يتوق الاولاد الى التحرر والانطلاق، وتقوم الأم بمعارضة هذا النزوع وعرقلة، فينتجم عن ذلك نشوء العقدة الأورستية لدى الأبناء وظهور عقدة ميديا لدى الأمهات.

كذلك يعالج البحث الأصداء الكلاسيكية اليونانية التي تتردد في كل من الروائيتين، ويركز بصورة خاصة على قصة الملك أوديب، وقصة (أورست) مع أمه (كلايتمنسترا)، وأسطورة زواج (بلوتو) من (بيرسيفون)، وقصة الملكة ميديا مع طفلها. ويعطى البحث ملخصاً لهذه القصص، و يشرح معانيها ومضامينها التي أصبحت كمنزاً تغرف منه العلوم النفسية و ينتفع به كتاب الروايات، ويبين انعكاسات هذه المعاني والمضامين في الروائيتين موضوع البحث.

تمهيد

تتناول هذه الدراسة المقارنة رواية انجليزية وأخرى عربية. تحمل الاولى عنوان **ابناء وعشاق** ^(١)، وقد كتبها (د. هـ. لورنس) ونشرت لأول مرة عام ١٩١٣. أما الثانية فتحمل عنوان **السراب** ^(٢)، وقد كتبها نجيب محفوظ بين عامي ١٩٤٣ و ١٩٤٤، ونشرت لأول مرة عام ١٩٤٨.

لاحظنا وجود تشابهات كثيرة بين مضمون الرواية الأولى ومضمون الرواية الثانية، وتشابهها في المعالجة الفنية للمضمون في كل من الروايتين أقل وضوحاً وأقل لفتاً للنظر. ثم رجعنا للدراسات العربية والانجليزية التي قامت حول روايات هذين الكاتبين، وعلى الاخص حول روايتي **ابناء وعشاق** و**السراب**، لعلنا نقع على دراسة تفسر هذه الظاهرة وتستقصى ابعادها ومدلولاتها، فلم نحظ بشيء. لم نجد دراسة واحدة جادة تقارن ما بين هاتين الروايتين مضموناً أو شكلاً.

ظاهرة التشابه بين هاتين الروايتين، وظاهرة غياب الدراسة التي تعالج اسباب ذلك التشابه ومدلولاته، مهدتا لنا الطريق للقيام بدراسة أدبية سيكولوجية فنية مقارنة، نبين من خلالها أوجه التشابه والتباين، ونلمس فيها اسباب هذا التشابه أو التباين ومدلولاتهما. وبعد أن قمنا بهذه الدراسة رأينا أن نضعها في بحثين: بحث يتناول مضمون كل من الروايتين وآخر يعالج التكنيك الروائي فيهما.

وفيما يلي نضع بين يدي القاريء الكريم البحث الأول الذي يعالج
المضمون في كل من الروايتين من جوانب ثلاثة:

الجانب الأول أدرجناه تحت عنوان الصراعات الأسرية وأثرها على
البناء.

الجانب الثاني اخترنا له عنوان الاصداء الكلاسيكية. ذلك أن كلا
من الروايتين تمسرح عقداً نفسية ذات أسماء مقتبسة من التراث الأدبي
الكلاسيكي اليوناني ومن هنا تصبح دراسة الاصداء الكلاسيكية في كل من
الروايتين وسيلة لربط الروايتين بالتراث الكلاسيكي و ببعض معطيات علم
النفس الحديث.

أما الجانب الثالث فقد وضعناه تحت عنوان أصداء أخرى، لأن كلا من
الروايتين تعكس تراثاً حضارياً متميزاً من التراث الحضاري الذي تصدر عنه
الرواية الأخرى.

(١)

الصراعات الأسرية وأثرها على البناء

كل من أبناء وعشاق والسراب تصور مراحل تطور البطل فيها : ولادته وطفولته وصباه ومراهقته ورجولته . وتعالج بالتفصيل ما قد يعترض تطوره من مشاكل أسرية واجتماعية وبيئية وعقبات مادية ونفسية، كما تتناول بالبحث والدراسة ما قد يعتور هذا التطور من عقد وانحرافات .

وتنتمي الروايتان من حيث موضوعهما الى قصص السيرة (Biographical Novels) وهى كثيرة في الأدب القصصي لدى كل الشعوب .^(٣) وهى تختلف عن كتب السيرة^(٤) (Biographies) في أنها لا تلتزم وقائع التاريخ بالنسبة للبطل ولأحداث حياته . فليس البطل في قصص السيرة انساناً تاريخياً حقيقياً، بل هو من صنع خيال المؤلف وفكره . أما في كتب السيرة فان المؤلف لا يسجل الا الوقائع التي لها سند رسمي من الحقيقة، ولا يميز لنفسه أن يبتدع أو يلفق من الاحداث والوقائع ما يشاء .

وقصص السيرة نوعان : نوع يروى عن البطل و يشار اليه فيه بضمير الغائب، ويكون الراوي والبطل فيه شخصين مختلفين، وهو ما يسمى رواية السيرة (Biographical Novel) ؛ ونوع ثان يتحدث فيه البطل عن نفسه، ويشير فيه الى نفسه بضمير المتكلم ويكون الراوي والبطل فيه شخصاً واحداً، وهو ما يسمى رواية السيرة الذاتية (Autobiographical novel) . أبناء وعشاق تنتمي في الظاهر الى النوع الأول . بطلها هو (بول موريل) وراو يها مجهول، لكننا نفترض أنه عليم بحياة البطل وخبر بدقائقها وتفصيلها . لكنها في حقيقتها، وفي معظمها، رواية سيرة ذاتية للمؤلف (د. هـ. لورنس) نفسه، الذى يختبئ وراء رواية مجهول ويجعل من نفسه بطلاً روائياً اسمه (بول) . ولقد كانت غلالة الفن الروائي التي استخدمها لورنس لاختفاء الاشخاص الحقيقيين الذين تمثلهم شخصيات الرواية

شفافة جداً بحيث تعرف عليهم كل أصدقاء (لورنس) ومعارفه (٥). ولهذا أعلن (لورنس) بعد نشر روايته أن على المهتمين بمعرفة حياته أن «يقرأوا أبناء وعشاق، لأن الجزء الأول منها هو كله سيرة ذاتية» (Farr, 1970: 2). ولكنه لم يعلن كل الحقيقة، لأن قسماً كبيراً من أحداث الجزء الثاني ومعظم الشخصيات فيه مأخوذة كلها من واقع حياة لورنس.

أما السراب فهي رواية سيرة ذاتية صرف. راويها (كامل رؤية لاظ) هو بطلها. وليس فيها — بقدر ما نعلم — شئ من حياة المؤلف نجيب محفوظ الخاصة سوى أنها من صنع خياله وصياغة افكاره (٦).

تتركز الاضواء في الروایتين على الابن الثاني في الأسرة باعتباره الشخصية الرئيسية. وتهتم كل منهما بالتفاصيل والاحداث ذات المغزى في طفولته، بحيث نرى آثارها وظلالها في مراحل حياته التالية، وبحيث يتبين لنا صدق المقولة المشهورة التي أطلقها (ويرد زويرث): «الطفل أب الرجل» (The child is father of the man) (٧) وقد أكد هذه المقولة بعده كثيرون من المفكرين والفلاسفة، وعلى الأخص سيجموند فرويد الذي أثبت أن مرحلة الطفولة هي أخطر المراحل في حياة الانسان، فيها تنبت جذوره وتُبْدَر بذوره، وكل ما يفعله أو يقوله أو يصدر عنه فيما بعد ليس سوى ثمار لهذه البذور وامتدادات أو تفرعات من تلك الجذور.

والطفل ابن بيئته، يتلون كالحرباء بألوانها ويتناغم مع ظروفها ويستقيم أو ينحرف حسب استقامتها أو انحرافها. والأسرة هي العمود الفقري لبيئة الطفل الاجتماعية ومنها يتعلم الطفل لغة مجتمعه وقيمه وانماطه الفكرية والاخلاقية والسلوكية.

ولأن البيئة الأسرية ذات تأثير حاسم في حياة الطفل ونموه فان كلا من الروایتين تبدأ بتسليط الاضواء على هذه البيئة، وتقرر أنها بيئة أسرية معتلة، وأن جوهر العلة فيها هو عدم التكافؤ بين الزوجين.

أبناء وعشاق تشرح مظاهر عدم التكافؤ هذا بتفصيل كثير ووضوح كبير. فطبائع الزوجين على طرفي نقيض، وهذا ناشيء عن التباين في أصولهما الطبقية والثقافية والعرقية والاخلاقية. الزوج (والتر موريل) ينحدر من طبقة عمال المناجم والأم سليلة صغار التجار والموظفين المثقفين. وهو جاهل وأمي في حين أنها مثقفة ومحبة لمظاهر الثقافة من فن وكتب وفكر. وقد كان جد الزوج من الفرنسيين الذين لجأوا الى انجلترا وكانت جدته من حثالة الانجليزيات (ساقية في احدى الحانات)، وكان زواج جديهما محاطاً بالشبهات (صفحة ١٧). وقد ورث الزوج عن هذين الجدين حب الضحك والمرح الراقص الصاخب وحب المتع الحسية كالطعام والخمر، كما ورث عنهما روح الاستهتار واللامسؤولية. ودليل ذلك انه كان يستسهل الكذب والغش والمماطلة في سداد ديونه. أما الزوجة فكانت سليلة عائلة انجليزية شديدة التدين كبيرة الطموح، عائلة تبالغ في تقدير المسؤولية وفي التمسك بالاخلاق وفي المحافظة على كبريائها وعزة نفسها (صفحة ١٥ - ١٦).

السراب أيضاً تصور مظاهر عدم التكافؤ بين الزوجين، ولكن بايجاز شديد. فالزوج رؤية لاظ يكبر زوجته بخمسة عشر عاماً، وهو سليل أسرة من الاعيان تملك الثروة المتمثلة في العقارات والاطيان، ومن أصل تركي، وبلا علم ولا عمل، وجاهل جهل العوام، وسكير عريبي، وذو أهواء جامحة (صفحة ١٠). أما الزوجة (زينب) فهي بنت أمير الاي متقاعد (عبد الله بك حسن). وهي امرأة ذات حيوية ومزاج حاد (صفحة ٨). ويدو أنها صارمة متصلبة كالجنود في مواقفها من الناس، ولا تؤمن بالحلل الوسط. لكنها مثل النساء الشرقيات في زمانها وعصرها وبيئتها، لا تعرف من الدنيا غير بيت أبيها وذوها، وهي متدينة تدين العوام، وتؤمن بالخرافات وتكثر من زيارة الاضرحة وقبور الصالحين وتتوسل اليهم للمساعدة في تحقيق امنياتها وحل مشاكلها.

واذا كان عدم التكافؤ بين الزوجين هو جوهر العلة في البيئة الأسرية في الروايتين فان مظاهر اعتلال البيئة الأسرية تتشابه ايضاً الى حد كبير. في أبناء

وعشاق نجد أسرة منقسمة على نفسها الى قسمين مسافرين متخاصمين: قسم يقف فيه الأب وحده، وحيداً منبوذاً ومهملاً، والقسم الآخر ترأسه الأم وتكون فيه مع أولادها عصبية مترابطة متعاونة تتخذ موقف العداء والكراهية نحو الأب. وقد ظل القسمان يعيشان معاً في بيت واحد ويتصارعان صراعاً عنيفاً على مرأى من الاطفال ومسمع، مما ترك في نفوسهم انعس الذكريات وأسوأ الآثار. أما في السراب فإننا نجد أسرة ممزقة الى قسمين تسود بينهما القطيعة الكاملة: قسم يتكون من الأب وطفليه الكبيرين — راضية ومدحت — ويعيش في بيت الأب، وقسم ثان يتكون من الأم وطفلها الاصغر كامل، ويعيش في بيت الجد والد الأم. ولم يكن بين القسمين اتصال من أى نوع. ولم يكن أحدهما يعرف ما يجري للآخر. وهذا وضع عائلي مغرق في الشذوذ والغربة، وكان له آثار مدمرة على طفولة كامل ومراحل حياته اللاحقة.

و يؤثر هذا الانقسام في الحالتين تأثيراً هداماً في الزوجين واطفالهما. الزوجة في ابناء وعشاق تتخلى عن دورها كزوجة وتكرس كل طاقاتها لدورها كأم، فتضطهد زوجها وتهمله وتتحول عنه بحبها واهتمامها ورعايتها الى ابنائها وتكون معهم عصبية واحدة قوية تتجاهل وجود الأب. أما الزوج فلا يبقى له في الأسرة سوى دور هامشي هو إعالة الأسرة وتأمين حاجاتها الأساسية من مأوى ومطعم ومشرب وملبس، وهو دور لم يكن ينال عليه حمداً أو شكرياً. انه يصبح غريباً في بيته، فيضيق بهذه الغربة ويلجأ الى الحانات ورفاق الشراب يبدؤ معهم وحشة الغربة وينسى برفقتهم برودة الوحدة. وفي السراب تقوم الزوجة بدور مشابه. فهي حين تطلق زوجها تقلع نهائياً عن الاهتمام بالحياة الزوجية. بل انها تطرد فكرة الزواج من ذهنها وتكرس نفسها لدور الأمومة. وتستعيز عن الزواج والأزواج بولدها (كامل) وتتخذ منه رفيقاً لوحدها ومؤسلاً لوحشتها. ولو استطاعت أن تستبقى عندها طفلها الآخرين لفعلت، لكن زوجها يأخذها منها، لا حباً بهما ولكن نكايَةً بأمهما ومُنعاً لها من رؤيتهما. كذلك فان الزوج يلجأ بدوره الى تناسي فشله مع زوجته بواسطة اغراق همومه ووحشة وحدته في الادمان على معاورة الخمر.

و يبدو أن ظاهرة تحلي المرأة عن الأنوثة والانصراف عنها الى الأمومة قد لفتت نظر المفكرين والكتاب منذ أقدم العصور. فقد زعمت الميثولوجيا اليونانية أن إله السماء (يورانس URANUS) تزوج إلهة الأرض (جايا Gaea) وانجب منها الإله الصغير (كرونوس Kronos). ولما كبر (كرونوس) وتمرد على أبيه وقفت أمه في صفه وعاونته على التغلب على أبيه واغتصاب عرشه وعلى خَصِيهِ وجعله عاجزاً عن الانجاب. كذلك زعمت هذه الميثولوجيا أن (كرونوس) هذا حين تزوج من اخته (ريا Rhea) خشي أن يفعل به ابناؤه ما فعله هو بأبيه، فراح يبتلع أولاده ويحبسهم في جوفه حال ولادتهم. وضاعت الزوجة ذرعاً بزواجها الذي حرّمها من أطفالها، فلجأت الى الحيلة حين ولدت ابنها (زيوس Zeus)، وألّقت زوجها حجراً وأخفت طفلها عند جدته (جايا). وحين كبر (زيوس) ثار على أبيه (كرونوس) وسلبه عرش الألوهية وأرغمه على أن يلفظ من جوفه بقية ابنائه وبناته^(٨).

كذلك تزعم الميثولوجيا المصرية القديمة أن (أوزيريس) تزوج من (ايزيس) وانجب منها (حورس). ثم وقع (سيث) أخو الزوج في حب زوجة أخيه فقتل أخاه وبنى بزوجته. وحين بلغ (حورس) مبلغ الرجال انتقم لأبيه من عمه فقتله، وتحول الى (أوزيريس حورس) - أى أنه وقف من أمه موقف الزوج والابن معاً (Kramer 1961: 93-15). وهناك أساطير مشابهة في الميثولوجيا الفينيقية والبابلية والحثية (Kramer 1961: 128-94). وفيها جميعاً نرى الأب يقتل أو يُسَبَد ويُهَجَّر، ونرى الأم والابن يقيمان بينهما علاقة حميمة قائمة على المحبة والتعاون بلا حدود.

كذلك يمكن ملاحظة هذه الظاهرة لدى الحشرات والحيوانات. فملكة النحل تغري الذكور بالاقتران بها وتلقيحها وإخصابها، وبعد ذلك تطلقهم وتسلط عليهم أبناءها وجنودها من النحل العامل الذى يوسع الذكور تجويعاً ولسعاً حتى يموتوا. كذلك تظل أنثى العنكبوت تتزين للذكر حتى تغويه وتغريه، فإذا ما استجاب لها وارتقى بين احضانها أطبقت عليه بذراعيها تستحرضه نفسها حتى

يخصبها ولا ترخي ذراعيها عنه الا بعد أن يكون قد أدى واجبه البيولوجي ولفظ معه انفاسه. كذلك فان عفريت الجنس يركب اناث القطط والكلاب في فصل الاخصاب و يصيبها بالهوس والجنون، ويجعلها تعاف الشراب والطعام والراحة والنام حتى يتيسر لها قرين من الذكور يطفىء نيران شهوتها ويخصبها، حتى اذا حملت منه انصرفت عنه وأهملته وتجاهلته وكأنها ولم تره ولم تعرفه.

ومن مظاهر اعتلال البيئة الأسرية في روايتي ابناء وعشاق والسراب أن الأم في كل منهما ترتبط بابنائها بعلاقة عاطفية أقوى مما تتطلبه أو تحتمله أو تجيزه طبيعة الحياة في الأسرة الابوية السليمة (Healthy Patriachal Family). ففي ظل هذا النمط الأسري يختص كل من الأبوين بدور يتفق مع تكوينه الفيزيولوجي والنفسي والفكري. دور الأب هنا يتضمن اعالة الأسرة وحماية افرادها من المخاطر واشعارهم بالأمن والطمأنينة وتدريبهم على التعامل مع العالم الخارجي حسب أسس اجتماعية معينة وأنماط سلوكية وفكرية محددة. أما الأم فتقوم بالحمل والولادة والارضاع واشباع حاجات النشء الى الحب والرعاية والعطف والحنان واشباع خيالاتهم بالقصص والأساطير. لكن حين تقوم الأم باهمال الأب واحتقاره، وتعود الابناء على الاعتماد عليها واللجوء اليها، وتزيد العلاقات بينها وبينهم قوة والتحاماً بحيث يعجز كل منهما، حين تقضى سنة الحياة بذلك، عن الانفصال والاستقلال عن الآخر، فان العلاقة بين الأم وأولادها تصبح علاقة مريضة. وهذه العلاقة تصبح بدورها تربة صالحة لنشوء العقد النفسية.

والعقد النفسية لا تنشأ في الابن وحده، بل هي قد تنشأ في الأم والابن على حد سواء. فالابن قد يصبح بالنسبة لأمه الابن والعشيق معاً، وتصبح سكينتها وهدوءها لها وطمأنينة نفسها معتمدة عليه اعتماداً مطلقاً، ويصبح حبه لها غذاء لروحها واعتماده عليها مبرراً لاستمرارها في الوجود. ولهذا فانها تحرص — ربما دون أن تشعر — على أن يكون حبه وقفاً عليها وحدها وأن يظل يتوجه برغباته وحاجاته اليها. ويصبح كل شيء عندها هيناً ومقبولاً الا انصرافه عنها

وفراقه لها. وربما تفضل مثل هذه الام المريضة بحب ابنها أن تموت ويموت ابنها معها على أن تنتزع منها امرأة أخرى، بل انها قد تفضل أن تراه صريعاً بين يديها على أن تحظى به امرأة أخرى غيرها. وهذا شبيه بما فعلته (ميديا) مع طفلها حين ايقنت انهما سيؤخذان منها. ولهذا نسمى هذا الموقف المريض لدى الأم عقدة ميديا. (٩)

واننا لنلمح مثل هذا الموقف عند السيدة موريل في ابناء وعشاق كما نلمحه عند أم كامل في السراب. فكل منهما تثبت بولدها تشبثاً عنيداً حتى تكاد تدمره وتحطم حياته. ومن النقاد من يتهم السيدة موريل بأنها قتلت ولدها (وليم) وكادت تقتل ولدها (بول).^(١٠) كذلك يعتقد كامل في السراب أنه أهون على أمه أن تراه متألماً من أن تراه محباً لامرأة أخرى، ويقول في نفسه متغيظاً: «ربما كان الضرر يقع بي أخف لديها من كشف حبي» (ص ٧٥).

هذه العلاقة المريضة بين الأم وولدها تصيب الابن ايضاً بعقدة من نوع آخر هي العقدة الأوديبية. (١١) ذلك أن الأم تصبح بالنسبة لولدها قلبه وعقله، وارادته وسعادته وأمه ومعشوقته، ولهذا فهو لا يطيق لها فراقاً، كما لا يطيق رؤية منافس له على الفوز بحبها ورضاها ولو كان هذا المنافس أباه. ومن هنا تنشأ كراهية الطفل لأبيه ورغبته في أن يتخلص من وجوده بأية طريقة. هذه العقدة الأوديبية تصيب (بول) بطل ابناء وعشاق كما تصيب كامل بطل السراب. كلاهما يحب أمه حباً مفرطاً و يلتصق بها التصاقاً غريباً ويغار من ابيه غير شديدة ويكرهه كرهاً عميقاً. مرات عديدة نقرأ في ابناء وعشاق أن (بول) يكره أباه ويتمنى موته (ص ٧٩، ٨١، ٨٧، ١٤٣ وغيرها)، وكامل يفعل الشيء نفسه في السراب.

العقد النفسية التي تنشأ لدى الأم وولدها حين يكون الولد طفلاً وتكون العلاقات الزوجية معتلة ومنحرفة، تهدد بتسميم حياة الأم وتهديم حياة الولد حين يتجاوز هذا الولد مرحلة الطفولة ويدخل مرحلة المراهقة. هنا يتحتم أن تتدخل

العقد النفسية وتُحلّ حلاً سويّاً لكي تنعم الام وولدها باستمرار الانسجام والوثام . ولكي يتم هذا في هدوء يتوجب على الام ان تتفهم حقائق المراهقة ومضامينها، وأن تروض نفسها على تقبلها في هدوء وان تيسر على ولدها الاستجابة لنزوعه الى الاستقلال والاعتماد على النفس واثبات الوجود، وان تساعده على تجاوز محنة الفطام العاطفي كما ساعدته من قبل على التغلب على محنة الفطام عن الرضاعة. عليها أن تحجب عنه حنانها بالتدرّج وأن تلجم نزوعها الى الاستمرار في حضانه ورعايته وكأنه لا يزال طفلاً. كذلك يتوجب على الابن أن يتعرف على الحدود التي تنتهي عندها حقوق أمه عليه وتقف عندها واجباته نحوها، وأن يتفهم هذه الحدود ويتقبلها بشجاعة ويلتزم بها في حزم. عليه أن يتعلم ماله وما عليه وما لأمه وما عليها وأن لا يسمح لهذه الأمور أن تتداخل وتتشابك وتختلط. ان هذا التشابك والاختلاط يؤدي الى ارتباك وفوضى وتشويش في العلاقات بين الأم وولدها و يصيب حياة الاثنین بسرطان عاطفي خطير قد يحوّل المحبة الى كراهية فيدفع الأم الى اتهام ولدها بالعقوق والجحود والنكران والدعاء عليه بالفشل والتعاسة، كما قد يدفع الولد الى اتهام أمه بالانانية العمياء والتسلط الاستبدادي البغيض، وقد يهون على الولد حينذاك أن يولى أمه ظهره ويهملها وينساها ما بقي من عمره حتى تموت مهزومة مقهورة.

مظاهر المراهقة ومضامينها كثيرة ومعقدة، وأهم مضامين مرحلة المراهقة هو أنها مرحلة اعداد الانسان للقيام بوظيفته البيولوجية التناسلية. وهذا يستدعى أن يبحث المراهق عن رفيق من الجنس الاخر يشترك معه في صنع حياة جديدة. وهذا يعنى ان يميل الولد الى انثى غير أمه وأن تميل البنت الى ذكر غير ابيها. بكلمات اخرى، المراهقة هي بداية ابتعاد وافتراق بين المراهق وأبويه. ولكنه ليس ابتعاداً بالجسد فقط، بل هو ابتعاد بالعاطفة والفكر والاهتمامات ايضاً. وهذا يقض مضاجع الأب أو الأم التي تكون قد رتبت أمورها على أساس أن يظل ولدها حبيس احضانها ورهن اشارتها طيلة الحياة، كما أنه يقلق الابن الذي يكون قد تعود على اعتبار أمه الأساس ومركز الثقل في حياته. هذا الأساس

الوهمي لدى الأم أو الابن ينهار بالتدرج تحت ضربات المراهقة المتتالية،
ويسبب انهياره آلاماً مبرحة لكل الاطراف، ولا سيما حين يصر أحد الطرفين
على التشبث بهذا الاساس الوهمي.

من هذا المنطلق نجد أن التشبث بهذا الأساس الوهمي للعلاقة بين الابن
والديه هو أحد الأسباب الجوهرية للمآسي التي تحدث عنها الروائع الأدبية
العالمية. المآسي التي نراها في مسرحية شكسبير بعنوان الملك لير، مثلاً، تنجم عن
عوامل كثيرة من أهمها حماقة الملك المتمثلة في إصراره على أن يكون حب بناته له
طاغياً على كل حب آخر. يسأل بناته الثلاثة عن مقدار حبهن له فتزعم له ابنتاه
الكبرى والوسطى أنهما تحبانه حب الطفل لأبيه، حباً أكبر من حب الحياة
نفسها، فيسر هذا الملك الخادع والنفاق الكاذب. أما ابنته الصغرى التي ترى
الأمر كما هي في واقع الحياة، وترفض الكذب والمخادعة، فتجيب عن سؤاله
بالشكل التالي:

ياواليدي الكريم
لقد أنجبتني، وربيتني، وأحببتني،
وانني أرد لك هذه الافضال كما ينبغي أن تُردّ،
فأطيعك، وأحبك، وأحرص على شرفك وكرامتك.
لماذا تتخذ كل من أختي زوجاً اذا كانت، كما تزعم،
تحبك الحب كله؟ وحين يُكْتَب لي أن أتزوج
فان السيد الذي اتعهد له بالحب كزوجة
لابد أن ينال نصف حبي ورعايتي وحناني.

(الفصل الاول، المشهد الاول، الاسطر ٩٧ — ١٠٤)

ولقد كان جواب (كورديليا) لأبيها وصفاً صادقاً للحقيقة والواقع ولكن
الملك لير لا يحب هذه الحقيقة التي تحطم الوهم، ولهذا فانه يستشيط غضباً على
ابنته التي كان يؤثرها بحب شديد، فيتبرأ منها، ويلعنها، ويحرمها من حقها في



الميراث. كانت خطيئة (كورديليا) أنها أدركت، بفكرها السليم، حدود حقوق ابنيها عليها وحدود واجباتها تجاههم، والتزمت هذه الحدود في صدق وإخلاص. أما الملك فقد صدمه هذا الصدق وفجعتة هذه الواقعية، وتشبث بأحلامه وأوهامه، ورفض في عناد أن يفتح عقله لتفهم وقائع الحياة كما رفض قلبه تقبل هذه الوقائع. ولهذا ظلم نفسه وظلم كثيرين غيره ودفعهم دفعا إلى التنكر له والتخلي عنه. لسنا ننكر بالطبع أن الملك لير كان في آخر الأمر مظلوماً أكثر منه ظالماً، ولكن ما نرغب أن نؤكد أنه هو أن تعلق الملك لير بالأوهام وضع في طريق الحياة المحتوم كثيراً من العقبات والمصاعب مما عاد عليه وعلى الآخرين بالكثير من الألم والأسى والفجعة.

كذلك فإن المشكلة التي تخلقها الأم حين يكبر ابنها ويتوجه بحبه إلى امرأة أخرى تذكرنا بأسطورة (فينوس) مع ولدها (كيوبيد) وحببته (سايكي) (Psyche) أو النفس. في هذه الأسطورة تحاول (فينوس) أن تحول دون لقاء (سايكي) بـ (كيوبيد) واقتربها به. تضع في طريقها العراقل تلو العراقل، ولا تتوقف عن محاولة منع الزواج بينهما إلا بعد أن تتدخل الآلهة وتصدر لـ (فينوس) أمراً بالموافقة على زواج ابنها من الفتاة التي يحبها (Hamilton, 1961:92-100).

في أبناء وعشاق وفي السراب نجد المشكلة نفسها تثيرها الأم. (جرترود موريل) لا تعترف أن ابنها (بول) كبير ونضج جنسياً وأصبح بحاجة إلى امرأة يحبها ويتزوجها ويمجد بجانبها السكينة ويأدها المودة والرحمة. وحين يقع (بول) في حب (مريم) فإن أمه تناصبها وتناصبه العداوة، فتتكبد عليه عيشه وتعكر صفو حياته حتى تضطره إلى قطع علاقته مع مريم. وحين يتجه (بول) بحبه إلى (كلارا) تدرك أمه أن (كلارا) لن تنجح في الاستحواذ عليه ولهذا فإنها تتخذ من حب ابنها الجديد موقفاً محايداً إلى حد ما في انتظار أن يمل ولدها هذه العلاقة المجذبة ويعود إلى أحضانها هي وحبها هي.

و يبلغ تشبث السيدة موريل بولدها (بول) حداً يجعلها تتحدى الشيخوخة

والمرض وترفض الاستسلام للموت. تمرض بالسرطان وتصبح قعيدة الفراش فيقطع (بول) كل علاقاته بالنساء الأخريات و يتفرغ للعناية بها، يمرضها و يطعمها و يسرح لها شعرها فتبرق عيناها بالسرور والسعادة. يتنبأ الاطباء بموتها بعد أيام فتكذب تنبؤاتهم وتعيش أشهراً. يزورها القسيس و يبشرها بقرب لقاء أحبها من الأموات فتقول له بحدة: «لقد استغنيت عنهم منذ أمد طويل وأستطيع أن أستغني عنهم الآن. إنني أرغب في صحبة الأحبة الأحياء وليس الأموات» (ص ٤٧١). تشبثها هذا بالحياة مع الأحبة الأحياء يدفع ابنها (بول) الى حافة الجنون. كانت تقرأ في عينيهِ رغبته في موتها وتعهدا منه أن يموت معها (ص ٤٧٧) ومع ذلك لم تستسلم للموت، مما دفع ابنها (بول) الى أن يقتلها قتلاً، فيُقدِّم عل زيادة جرعة الدواء المخدر الذي كان يعطيه لها زيادة قاتلة (ص ٤٧٨ — ٤٧٩).

الموقف نفسه تتخذه أم كامل في السراب . يبلغ ابنها مبلغ الرجال وتصرّ أن تعامله وكأنه لا يزال طفلاً. تظل تنام معه في سرير واحد حتى يبلغ السادسة والعشرين من عمره. وحين اشترى لنفسه سريراً منفصلاً وضعه في الغرفة ذاتها التي تنام فيها أمه.

وحين شكّا لها شعوره بالوحدة وهو في الخامسة والعشرين عتبت عليه احساسه بهذا الشعور وقالت له مستنكرة: «كيف تقول هذا وأملك على قيد الحياة؟» (ص ٥٧). تجاهلت تماماً حاجته الى امرأة غيرها. بل انها راحت تعادي كل من يذكرها بهذه الحقيقة، ومن ذلك أنها أغلظت القول لأختها وطردت الخاطبة من بيتها حين أشارت كل منهما الى حاجة كامل لزوجة. بل أن أم كامل راحت تتغزل بجمال ولدها وفتنته، وتنزين له وتصلح هندامها من أجله. ظلت تنفّر من النساء الأخريات وتدفعه عن التفكير بالزواج حتى يئس من إمكان فهمها لحاجاته ولجأ الى الحانات وبؤر الساقطات . وحين تزوج آخر الأمر رغماً عنها ظل خياها يطارده في فراش الزوجية حتى أفسد عليه زواجه، وظلت تكيد لزوجته وتوغر صدره عليها حتى كاد يمجن. وحين مرضت جعلت مرضها وسيلة لابتزاز ولدها (كامل) وإرغامه على زيادة حبه لها وعنايته بها. وقد وقر في

ذهن كامل أن الحياة لن تصفو لأمه إلا إذا ماتت زوجته، ولهذا فانه حين تموت زوجته وتقدم له أمه المريضة الغراء ينفجر في وجهها انفجاراً مروعاً، فيتهمها بالشماتة والكذب والنفاق، ويسمعها من الكلام القاسي والجرح ما يقتلها في الليلة ذاتها.

وإذا كانت متاعب الولدين المراهقين (بول) وكامل مع أميهما تذكرنا بمتاعب (كورديليا) مع أبيها الملك لير ومتاعب (كيوبيد) وحبيبته (النفس) مع أمه (فينوس) فان مأساة أم (بول) وموتها مقتولة بيد ولدها، ومأساة أم كامل وموتها مطعونة بالكلمات المسمومة التي صبها كامل في مسامعها تذكرنا بقصة الملكة (كلايتمنسترا) (Clytemnestra) التي قتلها ولدها (اورست Orestes) ^(١٢) وبقصة الملكة (جرترود: Gertrude) التي قتلها ولدها هاملت. ان قتل الأم في هذه القصص كلها لم يأت مصادفة ولم يتم فجاءة. ولو كان الامر كذلك لما كانت هناك مأساة. ان الموت في حد ذاته ليس مأساة. ولكن حين يقتلنا من نمنحهم الحياة فتلك هي المأساة. أما تمييز الظالم من المظلوم فذلك أحجيه قد لا يصل احد الى جواب لها مقنع كل الاقناع. ولكن هذا لا يجوز أن يعيقنا عن المحاولة.

ان الحياة العضوية مراحل تتلاحق في نظام ثابت محتموم، شأن الانسان في ذلك لا يختلف عن شأن الحيوان أو النبات. ولكن يختلف الانسان في قضايا أساسية معينة. فهو مثلاً الوحيد بين مخلوقات الله الذي يحاول التمرد على سنة الحياة وقاموسها. قاموس الحياة يرسم للانسان مسيرة واضحة المعالم والمراحل: فهو يبدأ من التراب نطفة ثم علقه ثم جنينا فوليدا فرضيعا فطفلا فصبيا فمراهقا فشابا ثم ينحدر بعد الشباب الى الهرم والشيخوخة والعجز والموت. و يعود تراباً. ومن لا يخضع لهذا التسلسل طوعاً، يخضع له آخر الأمر راغماً. ومع ذلك فان الناس عموماً يحاولون التمرد. الطفل يستعجل الأيام ويود لو يطوى السنين طياً لكي يبلغ الشباب. والشباب يحاول أن يوقف سير الأيام وتلاحق السنين لكي يطيل عمر شبابه ويعيق زحف الشيخوخة اليه.

ولو كان هذا التمرد على سنة الحياة شأناً خاصاً بالفرد نفسه، فيسعد وحده أو يتعس وحده، لهان الأمر. ولكن التمرد يورط نفسه في صراع خاسر فيصيب بالأذى نفسه وغيره. وقد أقامت البشرية امبراطوريات صناعية ضخمة لتخدم تمرد الانسان على طبيعته وسنة حياته. صناعات الاصباغ والمساحيق والطور والملابس، وصناعات الأدوية، وصناعات الادوات الرياضية وغير ذلك، كلها تحاول مساعدة الانسان على مخادعة الأيام وعلى التحايل على سنة الحياة. وفي كل هذا إنما يظلم الانسان نفسه، فيخدع نفسه و يعيش على الوهم، ويكون عبداً لهواه. ولكنه يظلم غيره أيضاً. الأب الذى يرفض ان يعترف أن ابنته قد كبرت وأن من حقها وطبعها أن تحب غيره كما تحبه هو، إنما هو أب ظالم. وهذا هو شأن الأم التي تنكر حق ولدها في حب امرأة أخرى وحق تلك المرأة الأخرى في ولدها. ومن ناحية أخرى، فإن الولد (أو البنت) حين يتنازل عن حقه الطبيعي لكى يرضي نزوة غير طبيعية عند أحد والديه يكون ظالماً لنفسه وعبداً مظلوماً لوالده. وهذا وضع خاطيء للوالد والولد معاً. والخطأ لا يمكن أن يدوم. في آخر الأمر لا يصح إلا الصحيح.

والصحيح في علاقات الأبوين بابنائهما حين يكبرون هو أن يتنازل كل من الأبوين عن دور الأبوة التى تعني التملك والسيطرة وحق التوجيه والأملاء، وان يعطي ولده حرية التصرف في كل شؤونه الخاصة. والصحيح أيضاً أن يتمسك الولد بحريته لا يتنازل عنها، ولكن في رفق ولين ومودة. وحين يصير الوالد على الاستمرار في السيطرة فانه يدفع الولد دفعاً الى التمرد الحشن العنيف. ذلك أن الحياة حركة لا تقبل السكون، وتغير لا يعرف التوقف. وإذا حاول أحد أن يفرض السكون على الحركة، أو أن يوقف التغير والتطور، أو أن يلغى الموت ويخلد الحياة، أو أن يمنع الأبناء والبنات عن أن يصبحوا أزواجاً وزوجات وآباء وأمهات، فانه بهذه المحاولة يعتدى على قانون الطبيعة، ويقف عائقاً في طريق الحياة المحتوم، ويخدع نفسه عن حقائق الأمور، ويحكم على نفسه بالهزيمة والآلام، ويحول أبنائه وبناته الى أعداء وخصوم، ويورط نفسه وأبنائه في مأساة أليمة شاملة. وهذا ما فعلته أم كامل في السراب والسيدة موريل في أبناء وعشاق.

(٢)

الاصداء الكلاسيكية

أوضحنا في القسم الأول أن أبناء وعشاق والسراب تعالجان موضوع الزواج غير المتكافئ وما قد ينجم عنه من علاقات زوجية مختلة وبيئة أسرية معتلة، وشرحنا الآثار السيئة لهذا الاعتلال وذلك الاختلال على نمو الأبناء، ولاسيما في مرحلة الطفولة (مرحلة نشوء العقد النفسية وتثبيتها) ومرحلة المراهقة (مرحلة خلخلة العقد النفسية). ومما هو جدير بالذكر أن معالجة كل من الروائتين لهذه الأمور تردد اصداء كثيرة من الأدب اليوناني القديم. وفيما يلي سندرس بعض هذه الأصداء الكلاسيكية بشيء من التوسع، ولاسيما قصة الملك أوديب، وقصة (اورست) مع أمه (كلايتمنسترا)، وقصة زواج (بلوتو Pluto) إله الموت من (بيرسيفون Persephone)، وقصة (ميديا) مع طفلها.

أولاً: قصة الملك أوديب:

لدى تحليل هذه القصة نجد أن المأساة فيها منسوجة من العناصر التالية التي يسهم كل منها بنصيب في خلق التعاسة والبؤس.

أ — زواج غير متكافئ: عدم التكافؤ هنا متمثل في الفارق بين عمري الزوجين، وهما الملك (لايوس Laius) والملكة (جوكاستا: Jocasta). إن نص مسرحية أوديب الملك لا يشير إلى هذا الفارق صراحة، ولكن القرائن تؤكد. وأول هذه القرائن أن الملك والملكة لا ينجبان أى طفل بعد التخلص من وليدهما (أوديب) وذلك رغم أنهما يعيشان معاً فترة لا تقل عن عشرين عاماً. وفي عصر لم تتوفر فيه وسائل منع الحمل لا يبقى من تفسير لعدم الانجاب إلا عقم الزوج الناجم عن شيخوخته. أما الملكة فالدليل على صغر سنها وخصوبتها هو أنها بعد أن يموت زوجها وتقترب من زواج في شرح الشباب (يتبين فيما بعد أنه ابنها أوديب) تنجب منه اثنين من البنين واثنين من البنات.

وقد أشرنا فيما سبق الى عدم التكافؤ بين الزوجين ومظاهره في كل من
ابناء وعشاق والسراب. (ص ٣).

ب - اهمال الزوج واستبداله بالولد:

تبقى الزوجة مهتمة بزوجها طالما ظل قادراً على إشباع غريزتي الجنس
والأمومة فيها. وقد ظل اهتمام جوكاستا بزوجها قائماً حين كان قادراً على
معاشرتها وحين كان لديها أمل في ان يزرع في رحمها حياة جديدة. ولكن يبدو أن
أملها هذا قد خاب بعد عشرين سنة من المعاشرة الجنسية المجذبة، ولهذا زهدت في
زوجها وجاء موته المفاجيء في ظروف غامضة مخرجاً سعيداً لها من هذه العلاقة
الزوجية العقيمة. ودليل ذلك أنها لم تبذل جهداً يذكر في سبيل الكشف عن
قاتله. كذلك فانها سارعت الى الارتقاء في أحضان زوج غريب شاب لتروي منه
انوثتها العطشى وتحيي معه أمومتها الثكلى، ولم تقم بمحاولة جادة للتعرف على
أصل هذا الزوج الشاب الغريب الذي رمته الأقدار في طريقها.

ان سرعة نسيان جوكاستا لزوجها الأول لا تدل فقط على زهداها به، بل
وتشير أيضاً الى أنها كانت تتمنى موته. كذلك فان سرعة قبولها للزوج الشاب
الغريب الذي كان صغر سنه واضحاً وكانت حالته تستدر العطف (فقد كان
رغم صغر سنه يغامر بحياته حين واجه الوحش الاسطوري الذي كان يحاصر
المدينة، وهذا يدل على أنه كان تعيشاً يائساً من الحياة زاهداً فيها) تشير الى انها لم
تحتضنه كزوج فحسب. أغلب الظن أنه استدر فيها عطف الأمومة، وانها كانت
تحتضن فيه ايضاً الولد الذي ثكلته. ومن هنا فانه كان بالنسبة لها ابناً وعشيقاً.

السيدة موريل في ابناء وعشاق تقوم بتصرفات مشابهة. فهي تصبر على
زوجها حتى تستنجه أطفالها ثم تهمله إهمالاً لا يعرف الرحمة أو الهوادة. يصبح
اسمه في البيت «المزعج» أو «وجه النكد» (The nuisance) (ص ٥٢).
ويصبح الرجل وحيداً وغريباً في بيته. ويصف لورنس هذا الوضع بقوله:
«وهكذا طرد [الاب] من كل شؤون الاسرة. لم يحدثه احد بشيء. وحين كان

الاطفال ينفردون بأهمهم، كانوا يقصون عليها كل ما يحدث لهم في يومهم — كل شيء ... ولكن حالما يدخل أبوهم البيت، كانوا يلوذون بالصمت و يتوقف كل شيء.... وكان دائماً يشعر بهذا الصمت الذى يلف البيت حين يذلف اليه، هذا الهمود لحركة الحياة، هذا الطرد ...» (ص ٨١) وبإهمالها واحتقارها لزوجها حطمت السيدة موريل زوجها معنوياً وهدمته جسدياً. فقد الرجل طعم الحياة وعزت عليه نفسه ففقد وداعته وطيبته وتحول الى حيوان بدائي شرس داخل بيته (ص ٨١)، كما فقد جسده حيويته وترهل وهرم قبل أوانه (ص ٢٤٢ — ٢٤٣).^(١٣)

ولا تكتفي السيدة موريل بالتخلي عن زوجها، بل تتخذ أبناءها عشاقاً لها وتعتقد معهم حلفاً عدوانياً ضده، وتوغر صدورهم عليه وتحرضهم على كراهيته. إنها تفعل ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر، وبشكل شعوري أولاً شعوري. فتارة تستدر عطف ابنائها إذ تصور نفسها ضحية مظلومة وتصور الأب طاغية متوحشاً ظالماً وتحمله مسؤولية تعاستها الزوجية. تصفه بأنه «وجه النكد» و «المشاغب» و «الكاذب» و «السكران» على مسمع منه ومن أولادها. تستفزه بالسخرية منه حتى تفقده صوابه فيشتتها ويطردها من البيت على مرأى من الأطفال (ص ٣٣)، أو يرمى دُرج الملاعق والشوك والسكاكين فتتطاير هذه في أرجاء الغرفة و يصيب الدرج جبينها ويخرج جفنها و يدميها (ص ٥٣)، أو يتصرف بحمق وسخف يقلل من قيمته ويحط من قدره كما فعل حين غادر البيت مهدداً أن لا يعود أبداً ثم عاد ممرغ الكبرياء فاقد الكرامة (ص ٥٨ — ٦٠). بل ان صَغَار شأنه لدى أولاده يصل الى درجة أغرتهم بالتجرؤ على التهديد بضربه وتأديبه كما فعل (وليم) (ص ٧٦ — ٧٧) وكما فعل (بول) (ص ٢٦٣).

أما أم كامل في السراب فانها تهجر زوجها وتَفرّ الى بيت أبيها بعد أسبوعين من زواجها. وبعد سنة تقريباً تُعاد الى بيت زوجها مع طفلتها (راضية) فلا تطيق البقاء معه أكثر من شهرين تَفرّ بعدهما الى بيت أبيها حاملة الطفلة على

يديها والجنين في أحشائها. وبعد ثمان سنوات تُرَدُّ الى بيت زوجها مع طفلها (راضية ومدحت) فلا تقيم معه سوى اسبوعين تهجره بعدها هجراً أبدياً بعد أن تحمل منه طفلها الثالث.

ولنا على هذه العلاقة الزوجية ملاحظات. أولها: أن هذه العلاقة لم تَرَقْ قط الى مرتبة الزواج، بل ظلت أقرب الى العلاقة الجنسية الغريزية التي تقوم في مواسم الإخصاب بين الحيوانات، حيث يلتقى الذكر بالأنثى، ويخصبها، ثم يذهب كل منهما في سبيله لا يهتم بالآخر ولا يأبه له.

الملاحظة الثانية هي أن الزوج (رؤبة لاظ) لم يطرد زوجته من بيته، بل هي التي فرت من بيته بارادتها. ومع ذلك كان الزوج «يوالي ارسال النفقة لوليديه على استهتاره وعربدته» (ص ١٢)، وحاول أن يقنع زوجته وحما بأنه «من الممكن أن تستقيم الحياة الزوجية مع ادمان الشراب» (ص ١١، ١٣). هذا بالإضافة الى أن الزوجة وأباها كانا يعلمان، قبل الاتفاق على الزواج، بأن (رؤبة لاظ) «شاب ذو أهواء جامحة وأنه سكير عرييد» وأنه «جاهل جهل العوام» وأنه بلا عمل. بل ان أب الزوجة نفسه «لم يكن يخلو من ميل الى الشراب والمقامرة». فما معنى أن يورد الراوى (كامل) كل هذه الحقائق؟ مَنْ الظالم وَمَنْ المظلوم في هذه العلاقة بين أبويه؟ لماذا يستنكر أبو الزوجة هذه الصفات في الزوج بعد الزواج وقد قَبِلَ بها قبل الزواج؟ ولماذا تستنكرها الزوجة بعد أن أخصبها زوجها ولم تعترض عليها قبل الزواج؟ ولماذا لا تستنكر هذه الصفات نفسها في أبيها وتستنكرها في زوجها؟.

الجواب المرجح لهذه الأسئلة كلها هو أن الزوجة وأباها لم يكونا — في أعماقهما — راغبين في الزواج بقدر ما كانا راغبين في استنجاب ابناء (للزوجة) وأحفاد (لأبيها) بشكل شرعي ومن أسرة غنية ومشهورة، بحيث يطمئن ابو الزوجة أن ابنته لن تكون، حين يموت عنها، وحيدة، بل ستكون في رعاية أبنائها. بكلمات أخرى، إنهما اعتبرا الزواج علاقة جنسية غريزية ذات وظيفة بيولوجية

واقتصادية أكثر منه علاقة اجتماعية وإنسانية. بعبارة أخرى، كان الزواج بالنسبة
للأمير الـى عبد الله بك حسن بوليصة تأمين تضمن لابنته، من بعده، حياة رخيـة،
وتضمن للبنت، الى جانب ذلك، اشباعاً لغريزة الامومة فيها. أما الزوج، فلم
يُخسب له حساب يذكر. فقد قُبِلَ زوجاً رغم عيوبه التي شُرِحتْ دوماً لبس،
وهُجِرَ بسبب هذه العيوب ذاتها.

وما يحصل للزوج (والترموريل) في أبناء وعشاق، يحصل للزوج (رؤبة
لاظ) في السراب. فهو يتحطم معنوياً ويستسلم لأهوائه الجامحة وخيالاته المريضة
وأفكاره المنحرفة حتى يورط نفسه في محاولة فاشلة لاغتيال أبيه واستعجال حظه
من الميراث ويخرج من هذه المحاولة الخرقاء محروماً من الميراث ملعوناً من أبيه
والناس. كذلك فإنه يلجأ الى إدمان الخمر هرباً وتأسياً وسلواناً. كذلك فإنه
يتهدم جسدياً إذ تذوى زهرة شبابه وتختفى وسامته، ويكتنز جسمه و يترهل،
ويشتد احتقان الدم في وجهه الممتلئ. باختصار، إنه يصبح منفراً مظهراً ومخبراً.

كذلك فإن تجربته الزوجية المؤلمة تجعله يتخذ من المرأة ومن الزواج موقفاً
سلبياً ساخراً يقطر بالمرارة. الزواج في نظره «داء وبيل» فيه وحده «الدليل
الناطق على جنون الانسان» (ص ١٠٦). ويقول (رؤبة) لولده (كامل) حين
جاء هذا يطلب منه ما لا يستعين به على الزواج:

أكرر عليك النصيحة بألا تتزوج على الاطلاق. هذه نصيحة رجل مجرب. الزواج
سخرة. تصور أن امرأة تملكك ودع ما يقال من انك الذى تملكها فهو كذب سمج،
تنهك قواك وتسلبك مالك وتستبد بحريتك ثم تستدرجك لاستعباد روحك وما تملك
لرعاية شخصها وأبنائها فاذا ميت سعت الى رجل غيرك قبل أن تحف دموعها، الزواج
شيء سخيف لم أحتمله اكثر من ليلة واحدة. (ص ١٠٨).

ومثل السيدة موريل في أبناء وعشاق، لم تكتف أم كامل في السراب
بطردها من حياتها بعد أن استنجبت ابناءها، بل اتخذت من اصغر ولديها
عشيقاً لها وحرضته على كراهية أبيه. راحت كلما ذكرت هذا الأب تصفه بـ



«المجنون»، و «الشرير» و «السكين» و «الملعون» و «الشيطان». ولم تكن تملّ من تذكير ولدها بأن أباه هو سبب العذاب والتعاسة. (١٤) وصفت له كيف أهملها أبوه بعد أسبوع من الزواج وكيف كان يأتيها في أواخر الليل سكراناً فيوسعها شتماً وضرباً، وكيف قسا عليها حين طلقها وأخذ منها طفلها وحرّمها من رؤيتها. لهذا كله يمزق كامل، في طفولته، صورة أبيه (ص ٩)، و يشعر وهو في سن السابعة عشرة بكرهية لأبيه ونفور من مقابلته (ص ٤٧ - ٥٣)، و يتمنى، حين يبلغ سن الرشد و يواجه شبح الفقر، أن يموت أبوه لكي يرثه (ص ٩٧، ١٠٨). بل ان كامل، في زيارته الاخيرة لأبيه، يهدد أباه بالقتل (ص ١١٧). وعندما يموت أبوه، يشعر كامل بالارتياح بدل الحزن (ص ١٢٢).

ج - معاناة الأم للأقدار واستبدادها بالابناء:

حين تتحول المرأة من زوجة الى أم، وتنجح في طرد زوجها من دائرة الاضواء في شؤون أسرتها، تنزلق، دون أن تشعر بذلك أو تدركه، الى العيب بمصائر ابنائها عبثاً خفياً خطيراً. تستبد بهم استبداد العاشقة بعشيقتها. توقعهم أسرى شباكها العاطفية. تربطهم بنفسها رباطاً محكماً لافكاك منه فلا يعودون يرون الا ما ترى ولا يحبون الا ما تحب ولا يكرهون الا ما تكره. تبتز عواطفهم وتستهلك كل مشاعرهم حتى يفلسوا من أية عاطفة يمنحونها لغيرها من النساء. تحبسهم في قلعة أمومتها وتعلو من حولهم الاسوار وتحكم اغلاق الابواب حتى يستحيل على أية فتاة أن تقتحم أبواب هذه القلعة أو جدرانها لتنفذ الى قلوب الأبناء، كما يستعصى على الأبناء أن يفلتوا من هذا الأسر دون جراح وآلم وعذاب.

كان هذا مصير (أوديب) و (بول) و (كامل). أصبح كل منهم اسيراً لعواطف أمه، عبداً لرغباتها وخداماً لنزواتها. ما تراه هي حقاً وجيلاً أو باطلاً وقبيحاً يصبح عندهم الحق والجميل أو الباطل والقبيح. يتخلون لها عن حقهم في التفرد والانفصال والاستقلال ولهم صغار وتمتنع هي أن ترد لهم هذا الحق ولهم

کبار. بل انها تأبى أن تعترف لهم بأنهم أصبحوا كباراً وتَصِرَ مهما کبروا على اعتبارهم صغاراً.

معاندة الاقدار تعني أن يحاول الانسان أن يكون سيد نفسه، وأن يحاول تخطيط مسيرة حياته ورسم مصيره بنفسه وحسب افكاره ورغباته الخاصة. ومن هنا ينشأ ميل الانسان لأن يتحايل على الاقدار، بأن يطلع على الغيب ويحاول تغييره حسب هواه. ومحاولة الاطلاع على الغيب ميل فطري يتميز به الانسان من سائر المخلوقات. ومن هنا أيضا ظهرت الى الوجود منذ اقدم العصور فئات تستغل هذا الميل الفطري وتتاجر به، ومنها العرافون والمنجمون وقراء الطالع وقراء الكف.

جو کاستا استعانت بالعرافين فقالوا لها ولزوجها أن وليدهما سيقتل أباه و يتزوج امه. فقررت مع زوجها أن يقتلا هذا الوليد ويغيرا مسيرة الاقدار. وكان قرارهما معاندة للقدر وتحديا للآلهة واستبداداً غاشماً بالوليد. السيدة موريل وأم کامل تتحديان مسيرة الاقدار حين تحاولان تثبيت ابنيهما في مرحلة الطفولة. ولكن قدر الانسان وسُنَّة نموه وتطوره وتغييره تقضى ان يكبر الصغار ويشيخ الكبار وتبديل الادوار. الفردوس الذى تعيشه الأم مع ابنائها، سيدة محبوبة مطاعة، يحتاجه آخر الأمر اعصار و يصيبه بالخلخلة والدوار.

حين يبلغ الصغار سن المراهقة تحتاجهم تغيرات جسمية مصحوبة باضطرابات عاطفية وخلخلات فكرية تحطم فردوس الأم وتغتال طمأنينة الابناء وسكينتهم . يتغير لون الاشياء وطعم الحياة ويصبح من الضروري، لكى تستقيم الأمور، أن يعاد النظر في كل شيء وأن تعاد صياغة العلاقات مع النفس والناس والاشياء.

التغيرات والتطورات والاضطرابات التى تصيب المراهق تشبه الوباء الفتاك الذى اجتاح الجسم الاجتماعي لمدينة (طيبة) فحطم ما فيها من ازدهار وقصف الاعمار وبات كل شيء على حافة الدمار. وقد طُلب من اوديب، بوصفه

الملك والرأس المدير، أن يعالج هذه الغمة حتى يستقيم حال الأمة، وحين بحث عن أصل الداء وطبيعة الدواء جاءه الجواب بضرورة البحث عن قاتل الملك السابق واخضاعه للعقاب اللائق. وحين جد أوديب في تلبية المطلوب اكتشف أنه هو نفسه القاتل، وأنه فوق ذلك زان وآثم، وأنه مكتوب عليه أن يكون الخصم والحكم، وأنه لكي تستقيم الامور لابد أن يوقع على نفسه العقاب الصارم مهما تعددت المغارم.

الأزمة التي ابتُلِيَ بها أوديب تصيب كل مراهق. فان التغيرات والاضطرابات التي يتعرض لها تبدل سكينته قلقاً وأمنه خوفاً، وتبين له أنه لابد من احداث تغييرات جوهرية في مواقفه وعلاقاته بحيث تذهب العلة و يتحقق التوازن و يتموضع كل شيء في وضعه الطبيعي الصحيح. يجد المراهق نفسه في صراع مع نفسه. عقله في صراع مع قلبه، وروحه في صراع مع جسده، وماضيه في صراع مع حاضره ومستقبله، وواقعه في صراع مع أحلامه وأمانيه، ودينه في صراع مع دنياه. ويكتشف أنه ما من احد يستطيع أن ينهي هذه الصراعات إلا هو نفسه. فهو عدو نفسه وهو طيب نفسه. هو الخصم وهو الحكم وفيه تلتقى الاضداد والمتناقضات. يكتشف انه ما لم تصطلح فيه المتناقضات فلن يعود طفلاً خالصاً ولن يصبح رجلاً خالصاً، بل سيظل مراهقاً ممزقاً ومرهقاً، وأنه لابد من عبور جسر المراهقة الى مرحلة النضج والرجولة والاستقرار وإلا فان العذاب مقيم لا يتزحزح ولا يريم.

في هذه المرحلة تقف الأم موقف المعارضة لأي تغيير. انها ترى التغيرات الفسيولوجية في جسم ولدها فيسرّها ذلك و يسعدها. ولكنها لا ترى التغيرات العاطفية والفكرية والنفسية لأنها لا تحب أن تراها، ولا ترضى عن مضامينها واتجاهاتها.

الملكة جوكاستا والسيدة موريل وأم كامل تلعب كل منهن دور الآلهة الصغيرة التي تريد أن ترسم قدرها وأقدار أولادها بنفسها، وتنسى أو تتناسى أن

الأقدار إنما ترسمها يد أعلى من أية يد بشرية وقوة أعلى من أى إنسان. كل منهن تريد حبيباً لا تغيره الأيام ولا يغير عليه الزمن، فإن أغار عليه الزمن أو غيرته الأيام استبدلته بحبيب من صنع رحمها وحبسته في قمقم من نسيج أحلامها وصناعة أوهامها.

وربما كان تفسير ذلك أن الام — وهى التي تصنع الحياة — لا تفهم حقيقة الحياة نفسها. وذلك أن بدء الحياة ليس الا بداية التغير والسعى الى الموت، بل هو بداية الموت نفسها. ان ما لا يحيا ومن لا يحيا لا يموت. ومع أن الأم تصنع الحياة وتلدها فانها في الوقت ذاته تصنع الموت وتلده. وهذه حقيقة مُرة لا تستسيغها المرأة ولا تسلم بها ولا تستسلم لها بسهولة. ومن هنا كان تعلقها بالالوهام والسراب حين تحاول تثبيت ابنائها في مرحلة الطفولة ومرحلة الاعتماد عليها في كل صغيرة وكبيرة. فاذا رأت فيهم ميلا الى الاستقلال والاستغناء والانفصال عنها أحزنها ذلك اشد الحزن وقاومته اعنف المقاومة. ويزداد حزنها شدة وتزداد مقاومتها عنفاً اذا استبدل منها ولدها امرأة أخرى. وطالما بقى لديها أمل في استمرار الحب المتبادل بينها وبين أبنائها وفي استمرار اعتمادهم عليها واستنادهم اليها فانها تتشبث بالحياة ولا تستسلم للموت. وربما كان هذا مصدر تجاهل الأم لحقائق الزمن. إنها لا تريد أن تصدق أن السنوات تتعاقب فيكبر الصغير ويشيخ الكبير بل توهم نفسها أنها تظل شباباً خالداً لكى يظل ابناءؤها طفولة دائمة.

فهذه أم كامل تستغرب أن يكون ابنها قد بلغ الثامنة والعشرين. تقول له بعد أن تند عنها ضحكة هستيرية:

«اسمعوا ياهوه، كامل يدوانه كبير.. وأنا؟!! لا بد انى عشت اكثر مما ينبغى!» فتأوهت قائلاً: أماه انك تحزنيني . «فتجيبه»: ... ولكنك تقول على نفسك بالباطل وتزعم انك كبرت. يالك من طفل مكابر!.. (ص ١٣٣)

وتلك جو كاستا تشارك في محاولة قتل وليدها كى لا تحل عليها اللعنة لأن



العرافين قالوا أنه سيقتل زوجها (أباه) و يتزوجها هي. ولكن الوليد ينجو و يكبر و يشب و يقتل اباه و يتزوجها دون ان يدري أحد حقيقة ما حصل. ثم تدرك من سياق البحث عن قاتل زوجها الأول أن اللعنة قد حلت عليها، وأنها إنما تعاشر ولدها الذي هو الآن زوجها، ومع ذلك فإنها تبدى استعداداً متحدياً لأن تكتم السر وتستمر في اللعبة الآثمة، وتحاول ان تمنع زوجها من الاستمرار في البحث كيلا يعرف ما عرفته هي (أي أنه ابنها وزوجها في آن واحد).

جوكاستا : بالله عليك لا تفعل . اذا كنت تريد ان تعيش
أوقف هذا البحث . ألا يكفيني ما عانيت؟
أوديب : لا تخافي شيئاً . حتى ولو ثبت أنني سليل العبيد
حتى الجيل الثالث . فلن يضيرك هذا في شيء.
جوكاستا : ومع ذلك أوقف هذا البحث . أتوسل اليك أن تكف عنه.
أوديب : لا بد أن أستمّر. لا أستطيع أن أظل جاهلاً بالحقيقة.
جوكاستا : أعرف أنني على صواب. إنما أحذرك لمصلحتك.
أوديب : لطالما خوفتني باسم مصلحتي.
جوكاستا : مكتوب عليك الشقاء اذن. ليتك تموت قبل أن تعرف الحقيقة.
(الملك أوديب، الاسطر ١٠٥٩ — ١٠٦٨)

وفي أبناء وعشاق نرى السيدة موريل تقوم بمحاولات متكررة لمنع ولدها (بول) من الانعتاق من اسرها والانطلاق الى نساء غيرها. لكن كراهيتها لهذه النزعة التحررية في ولدها تتجه الى مريم وتتركز عليها، ويسأل (بول) أمه وهو متألم أشد الألم: «لماذا لا تحبينها يا أمي!» فتجيبه بلهجة تثير الشفقة: «لا أدري يا ولدي. ثقت أنني حاولت أن أحبها. حاولت وحاولت وحاولت، ولكني لا أستطيع، لا أستطيع!» واحس (بول) بكآبة عميقة و يأس محزن (صفحة ٢٣٨). وبعد ذلك يعود (بول) متأخراً بعد أن كان في مشوار مع مريم، ويجد نفسه متورطاً

في مشاجرة عنيفة مع أمه. تسأله أمه ما الذى يجذبه في مريم؟ ويحيب أنه يميل إليها و يناقش معها أموراً تتعلق بالفن والكتب والدين. وتسأله أمه لماذا لا يناقش هذه الأمور معها هي، أمه؟ فيجيب بحدة بأنها — أي أمه — لا تبدي اهتماماً بهذه الأمور، وهذا أمر مألوف في سنّها. ويؤكد لأمه أن هذا الأمر ليس جوهر القضية عندها. وتعترف أمه بذلك بأسلوب يقطع القلب وتقول بصوت باك وهي تطوق عنق ولدها بذراعيها وتلقى برأسها على كتفه: «لا أستطيع أن أحتملها. من الممكن ان أسمع بك لامرأة أخرى — لكن ليس لها. إنها لن تبقي لي مكاناً في قلبك، لن تبقي لي شيئاً منك ...» وفي الحال يشعر (بول) بكراهية مُرة لمريم (صفحة ٢٦٠ — ٢٦٢).

وفي السراب تضرب أم كامل طوقاً حديدياً حول ولدها لتخفق فيه نزوعه الى التحرر من سلطانها وسيطرتها. في الرابعة من عمره يستأذن أمه في اللعب مع اترابه الصغار فتقول له: «ماذا حدث لعقلك؟ ألا ترى انهم لا يكفون عن العراك؟... ماذا تفيد منهم إلا الشقاوة وقلة الأدب؟ ... إذا كنت تحبني حقاً فلا تفارقني» (صفحة ١٨). وحين تزورها أختها (مع أولادها الستة وبناتها — وكلهم أطفال مثله) وتقضى معها شهراً يجد كامل متنفساً في اللعب مع أبناء خالته. ولكن أمه تضيق بأختها وأولادها وتفرح بانتهاء زيارتهم لها، وتقول لولدها: «كفاك لعباً وجرياً في الشارع، ثب الى رشدك وعد إلي لا تفارقني ولا أفاركك» (صفحة ٢٠).

وتنال الأم بغيتها ويبقى كامل أسير الشرنقة التي نسجتها حوله. ومع أن جسده ينمو إلا أن عقله لا ينمو إلا نمواً بطيئاً متعثراً بحيث لا ينال الشهادة الابتدائية إلا في سن السابعة عشرة ولا ينال الشهادة الثانوية إلا بعد بلوغه الخامسة والعشرين، ثم لا يقضى في كلية الحقوق أكثر من شهرين حتى يقطع دراسته ويسلم بعجزه، ويقنع بالحصول على وظيفة صغيرة في وزارة الحربية. خلال هذا كله لم يستيقظ فيه اى حب للاستطلاع، فهو جاهل «بالدنيا وما فيها، فلا زمان ولا مكان، ولا سياسة ولا رياضة، حتى المدينة الكبيرة التى ولدت

وعشت فيها لا أعرف منها إلا شارعين، وكأنني أعيش في جحر بمفازة!» (صفحة ٧٠). أما من الناحية العاطفية فهو يعيش نرجسية طفولية تغذيها أمه، فتقضي سنوات عمره في «أنانية مطلقة قضت عليّ بغزلة لا يؤنسها صديق أو رفيق» (صفحة ٧٠). وهولا يدرك هذه الحقائق عن نفسه إلا حين يشعر بالسخط على نفسه وبالتبرم بحاله ويثور به نزوع (أدبيي) «نحو تأديب النفس ومعاقبتها، واتخذ ذلك النزوع صورة حملة هجائية على نفسي، فواجهت نقائصي في تسليم واعتراف لأول مرة» (صفحة ٧٠). كذلك فإن قلبه تعلق فجأة بفتاة النافذة في العبارة البرتقالية اللون الواقعة أمام محطة الترام مباشرة. هذا الحب العامر الصامت المفاجيء يفتح عينيه على تفاهة حياته، ويزيد إحساسه بالضيق ويولد فيه من القلق مالا يطيق ويصيبه بالسهوم والشرود والوجوم. وتلاحظ أمه ذلك عليه فتقول بحزن وأسف: «لماذا تبدو أحياناً كالخزين؟ ... لعمري ماذا ينقصك؟ أردت أن تكون موظفاً فكنت، ومتعك الله بعطف جدك ...، وفي خدمتك أم لو استوهبتها حياتها لو هبتك إياها عن طيب خاطر، وبين يديك الشباب والصحة .. فماذا ينقصك؟» ويعلق كامل: «عجبت كيف تتساءل عما ينقصني. ولكني لا أنفك عن التفكير فيما ينقصني فيعميني ما أتطلع إليه عما انعم به. اني شخص لم يقدر له أن يعرف شيئاً عن حكمة الحياة، فلم يخرج قط عن دائرة نفسه الضيقة، وفي ذلك سرّ دائي» (صفحة ٧٩). ولهذا راح يتمرد على أمه.

د. تمرد الأبناء على الأمهات:

التمرد عند أوديب يأخذ شكل البحث الدؤوب العنيد عن الذات وعن الحقيقة حتى يصل هذا البحث الى غايته. في ساعة الكشف والتجلي (revelation) يصمد أوديب للكارثة التي لم تكن تراها عيناه رغم قربها منه، ويشرب مرارة الحقيقة في رضا وتسليم. تمزقت الحجب وبانت الحقائق. سقطت الأستار وهتكت الأسرار. فُضح الزيف وهوت الأحلام وتحطمت الأوهام وتساقطت خداعات النفس. كان أوديب يبدو في نظر نفسه ونظر الناس شجاعاً مقداماً فاذا شجاعته طيش وإقدامه تهور صبياني. وكان عاقلاً حكيماً فاذا به

ضال مغفل. وكان زوجاً وفيماً مخلصاً فاذا به قاتل لأبيه وفاسق بأمه. وكان أبا باراً فاذا به طاغية متجبر وسلطان مستبد. وكان صديقاً ودوداً فاذا به طفل أناني. وكان محباً للحق فاذا به عبد لهوى نفسه الذي يرفض الاعتراف بالواقع. اكتشف في يوم واحد أنه كان ضحية الاقدار، لكنه أدرك أن الاقدار ليست قوى فوقية خارجية بل هي كامنة فينا وتعمل من خلالنا، وأنه لا يجوز للانسان أن يتنصل من مسؤولية ما يفعل ويكتفى بالقاء اللوم على الأقدار. إن قدر الانسان كامن فيه، فان أخطأ فعليه أن يتقبل العقاب وإلا حلت عليه لعنة الآلهة. في لحظة الامتحان العسير نجا أدويب من اللعنة حين استسلم للعقاب وكفر عن ذنوبه بالألم والعذاب. أما جوكاستا فعاشت أوهامها وتعلقت بالسراب حتى النهاية. في لحظة الامتحان هربت من العقاب والعذاب والتكفير الى الموت السريع بالانتحار.

أما التمرد على الأم في أبناء وعشاق وفي السراب فيتخذ شكل خذلان الأم وإرغامها بالتدرج البطيء على التسليم بواقع الأمور والاستسلام لطبيعة الحياة. الصغير يكبر والكبير يشيخ ويهرم. الأم العاقلة الطبيعية تسمح لهذه الحقائق أن تفرض نفسها بسهولة ودون مقاومة. لكن السيدة موريل والسيدة زينب عبد الله حسن لا تريدان الاعتراف بهذه الحقائق، ولهذا يتمرد الابن على أمه. وبما أن التمرد مؤلم لكل الأطراف، فانه يكون تمرداً متردداً يتتالى فيه الاقدام والاحجام مرات ومرات.

في ابناء وعشاق يتصارع (وليم) مع نفسه ومع أمه ليحرر نفسه من سلطانها على عواطفه ومواقفه وافكاره. انها تنتقد أصدقاءه وصديقاته وأسلوبه في الملبس والانفاق وقضاء أوقات فراغه. وهو يضيق بهذا أيما ضيق. تأتي احدى صديقاته الى بيته تسأل عنه فتسخر أمه منها وتطردها طرداً جارحاً. ويعاتب (وليم) أمه فتعنفه وتُسَفِّه رأيه (صفحة ٧٠ و ٧١ و ٧٤). ولهذا حين تُعَرِّض على (وليم) وظيفة في لندن بعيداً عن أهله وأمه، يقبل هذه الوظيفة بسعادة غامرة

بحجة أنها ستفتح له أبواب النجاح والثراء. ولكن ما كان يسعده أكثر هو أن العيش في لندن يبعده عن أمه التي تعدّ عليه خطواته وتفسد خططه. وفي لندن يفقد (وليم) توازنه ولا يحسن استعمال حريته. يغلب هواه على عقله فيبذّر دخله على توافه الامور، ويحب فتاة طائشة تافهة، ويعدّها بالزواج، ثم يضيق بها ويعجز عن التخلص منها. ويشكو حاله لأمه فلا يجد عندها غير الشماتة والسلبية، فتضيق الحياة في وجهه ويستسلم لمشاعر العجز والتعاسة واليأس ويموت بسرعة خاطفة. وتستسلم أمه للحزن على فقده حتى تكاد تصاب بلوثة في عقلها، ولا يوقظها من غفلتها الا المرض والسقم الذي يحل بابنها الثاني (بول) ويعيد اليها صحتها وعقلها.

بعد تجربتها القاسية مع ابنها الأول، تقرر السيدة موريل أن تحتفظ بابنها الثاني بكل ما أوتيت من قوة، ولا تعود تسمح لنفسها باتخاذ مواقف سلبية شامته تجاهه. ولهذا تواجه محاولات تمرده عليها واستقلاله عنها بعين ساهرة يقظة وإرادة لا تلين. حين يحاول استبدالها بمحبوبته مريم تقف له بالمرصاد وتخضعه لحساب عسير كل يوم وكل ليلة، وتضعه آخر الأمر أمام خيارين لا ثالث لهما — إما أن يختار أمه أو يختار مريم. فيتخلى آخر الأمر عن مريم.

ولكنه لا يفعل ذلك ارضاء لأمه فحسب، بل لأن مريم نفسها صورة من أمه. فهي بطبعها ونتيجة لتأثير أمها المتدينة تتخذ من غريزة الجنس موقفاً سلبياً. وهذا يجعل (بول) رغم حبه لها وحبها له، يترفع تلقائياً عن التفكير بأي تصرف جنسي معها. لقد استمرت علاقتهما سبع سنوات، وكانت خلال ذلك علاقة عذرية، فلا قبلات ولا عناق ولا احتضان. كانت علاقتهما روحية فكرية عاطفية خالصة وبالمعنى التجريدي لهذه الأمور. كان يلقاها ساعات طويلة معظم الايام فيتحدثان في الأدب والدين والفن والعلوم، ويتأملان جمال الطبيعة وسحر الغروب وفتنة القمر، ولا يفعلان شيئاً غير ذلك. وكانا سعيدين بهذا سعادة بالغة لا يعكرها سوى عتاب أمه المتكرر وانتقاداتها الساخرة وتقرها الدائم.

وظنت مريم ان علاقته معها وارتباطه بها اقوى من أن تقطعها أمه رغم حبه لأمه وتعلقه بها. اما (بول) فكان يحس بين الفينة والاخرى ان علاقته بـمريم ينقصها دفء التواصل الجسدى الذي يُعطى و يُؤخذ بعفوية فرحة وتلقائية طبيعية. كان يقول لها ان علاقتهما لا يمكن أن تنتهى الى زواج موفق لان الزواج لكى يكون موفقاً لابد أن يأخذ الجسد والشهوة والعقل والروح والقلب كلها بالحسبان وعلى قدم المساواة. وكان يحدثها بهذا بصراحة جارحة وتتقبل حديثه بحيرة صامتة. وقد حاولت ذات مرة أن تمنحه جسدها لتثبت له أن حبه لا يتوقف عند شيء، لكنها في اللحظة الحاسمة لم تستطع ان تقدم له سوى جسم جميل بارد خال من اى شهوة، وكأنها تقدمه له قرباناً وبدافع الواجب، وليس بدافع الرغبة العفوية المتبادلة. ولهذا قتلت فيه كل شهوة وأصابته باحباط عنيف.

بكلمات أخرى، كانت مريم، مثل مريم العذراء، تُحبّ دون أن تُشتهي. كانت بديلاً لأمه. في علاقته بها ما في علاقته بأمه من حرارة وحب ومودة واحترام، ولكنها علاقة تغذي روحه وعقله وفنه وفكره فقط، وتترك جسده ذنباً جائعاً. كذلك فان (بول) لمح في مريم ما عرفه في أمه من حب للتملك والسيطرة، ولهذا كان يخافها ويكرهها كما يخاف أمه ويكرهها. أما أمه فانه كان مربوطاً اليها بالفطرة ربطاً لا خيار له فيه. كانت قدراً لا مفر منه، قدراً محبباً ولا شك، ولكن فيه عبودية ورق يضيق بهما المرء من حين لآخر، ويود لو يفر منهما. أما مريم، فلوارتبط بها فسيكون الارتباط باختياره، وهو لا يريد أن يختار رابطة يشوبها شيء من رق أو عبودية. ولهذا، ولكي يتخلص من الآلام التي كان يعانيها من تمزقه بين أمه ومريم، قرر أن يتخلى عن مريم وأن يتفرغ لحب أمه. كان حبه لأمه أعمق جذوراً وتأثيراً عليه أقوى سلطاناً.

في ساعات حيرتها وخوفها من فقدان (بول) كانت مريم تظن أن الثغرة الأساسية في علاقته بها تكمن في اشباع الذئب الجائع في جسده. ولما كانت مريم بطبعها تخشى هذا الذئب وتخافه، وخصوصاً قبل الزواج، فانها تخيلت أنها لو ساعدت (بول) على اشباع غريزته مع امرأة أخرى، فانه — بعد ان يسكت عواء

الذئب فيه — سيعود اليها راضياً مطمئناً. لهذا عرّفته بصديقتها (كلارا)، وراحت ترقب ما سيحدث.

كانت (كلارا) امرأة مطلقة تكبره بستة أعوام. كان في الخامسة والعشرين وكانت في الحادية والثلاثين، وكانت تتمتع بجمال بهيمي فيه إغراء وتمرد وتحد. كانت ذات أنوثة فياضة تخفيها خلف قناع من الزهد في الرجال والاحتقار لهم. وقد فتنته أنوثتها وأغراه تحدّيها فوجد نفسه يجند كل ما لديه من ذكاء ودهاء ودمائة وفن ورجولة لكي يروّض تمردها ويحترق قناعها الشفاف الى ثمارها اليانعة المترعة. ونجح. ترددت وتمتعت وتريثت أول الأمر، ثم تدفقت عليه بكل جوارحها حباً وعشقاً ووصلاً حتى تخم. قضى معها فترات رَياً بالسعادة الصافية. لم تقف له أمه هذه المرة بالمرصاد. غضت الطرف. أدركت ببصيرتها الشاقبة أن ابنها لن يتزوج هذه المرأة رغم أنوثتها الفواحة وجمالها الفتان، وأنه سرعان ما سيملّها ويفترق عنها و يعود الى احضان أمه أكثر هدوءاً وأرضى نفساً.

وقد صدق حدس أمه. انهارت علاقة (بول) مع (كلارا). فهي لم تتعد حدود العلاقة البهيمية. ادركت (كلارا) انه لم يكن يأتيها لشخصها كلها، بل للمرأة الشبقة المغرية فيها فقط، حتى اذا شبع ذئبه منها نسيها. كذلك ادركت (كلارا) أنه لم يكن يأتيها بشخصه كله، بل كان يأتيها منه الذئب الجائع فقط، وأحياناً كان يأتيها منه الفتى الحائر القلق الذي لا يعرف ما يريد لينام على صدرها وفي حضنها نومة الطفل الخائف في حضن أمه. أما (بول) الانسان، الفنان، المفكر، الطموح، فانه كان غائباً في لقاءاتهما.

ولم يكن حال (بول) مع (كلارا) أفضل من حاله مع مريم. كان هناك أمر، وربما أمور ناقصة. لهذا كان تمرده على أمه فاشلاً. وقد ادرك بول أن أمه ظلمته، وأنه بدوره ظلم النساء اللاتي أحبينه. يقول لأمه: «أظن أن ثمة عيباً فيّ أنا.... اني لا أرغب في الزواج من أي منهما. كل منهما تريدني زوجاً... ولكنني لا أستطيع أبداً أن أعطي نفسي لأي منهما». وتقول أمه: «أما بالنسبة

للزواج، فإن أمامك متسعاً من الوقت. إنك لم تلتق بعد بالمرأة المناسبة». فيقول : «ولن أقابلها مادمت أنت على قيد الحياة». وأخلدت هي للهدوء. بدأت الآن تشعر أنها متعبة جداً، وكأنها قد قُضيَ عليها وانتهت» (صفحة ٤٢٦ - ٤٢٧).

وتقع السيدة موريل فريسة لمرض السرطان. ويتخلى بول عن تمرده ونسائه مرة واحدة، ويتفرغ للعناية بأمه، وتدليلها، وتمريضها وإطعامها، وتسريح شعرها. وكانت تستسلم لولدها وكأنها معشوقة بين يدي عشيقها، تضحك وتفرق بالسعادة. ومع أن المرض هدها وأقعدها وأكل جسمها أكلاً إلا أنها لم تفكر بالموت. قال الاطباء انها ستموت في أسبوع فعاشت أشهراً. مات جسمها أو كاد، لكن عينيها ظلتا يقظتين مثبتتين على (بول) أينما ذهب. وكان قلب (بول) يتفطر ألماً وحباً ورعباً. انها ترفض أن تموت. كان كل ما فيها قد مات، إلا عينيها وإرادتها. ويتفق بول مع اخته (آني) على أن يقتل هذه الأم التي تتحدى الموت. وقد فعل، رحمة بها !! وبنفسه. زاد جرعة المورفين التي كان يعطيها لها، فنامت نومة ابدية (صفحات ٤٧٨ - ٤٨٤). ولكنها حتى بعد موتها ظلت حية معه، تعذبه بحبها وذكراها حتى كاد يجن وينتحر. وعاش كالمبوذ فترة من العقاب والتكفير، عاف خلالها عمله وفنه ونسائه، كما عاف الحياة والناس، وتمنى لو يلحق بها في دنيا الموت والعدم. لكنه في اللحظة الاخيرة قرر أن يعود للحياة والنور، وأن يتحرر من عقدة الذنب وسلطان الأم.

التمرد نفسه يتكرر مع كامل بطل السراب ، رغم اختلاف الطباع والمفاهيم، ورغم اختلاف التفاصيل. لكن تمرد كامل على أمه يبدأ في وقت أكثر بكوراً، ويسير في اتجاهات أكثر تعدداً. وسبب ذلك واضح، وهو أن السجن الذي حُبِس فيه كامل كان سجنأ مادياً ملموساً وأن الضيق بهذا السجن بدأ عنده في الطفولة، بينما لم يشعر بول أنه أسير سيطرة أمه وحبها إلا حين بدأ مرحلة المراهقة. كذلك فإن وسائل أم كامل لوقف نمو ولدها عند مرحلة الطفولة تختلف عن وسائل السيدة موريل لوقف النمو العاطفي لولدها.

ذلك أن أم كامل استعملت الأرهاب والتخويف لمنع كامل من الاختلاط بالناس عموماً — صغاراً وكباراً، أقارب وغرباء، حتى جعلت الخوف من الناس — كل الناس — طبيعة راسخة في ولدها. بل إنها وسَّعت ميدان مخاوفه ليشمل كل مكان وكل زمان لا تكون هي فيه . في طفولته ملأت أذنه «بقصص العفاريت والأشباح والأرواح والجان والقتلة واللصوص. «جعلت الخوف جوهرأ أصيلاً في نفسي .. أخاف الناس وأخاف الحيوان والحشرات، ... والظلام ... وهيئات أن أنام في حجرة بمفردي» (ص ١٦). بل انه لم يكن ينام في سرير بمفرده، وظل ينام مع أمه في سرير واحد حتى بلغ السادسة والعشرين من عمره (صفحة ٧٥).

حنان أم كامل كان كحنان اناث القروء اللواتي يقتلن أطفالهن بين أحضانهن من فرط المحبة. يقول كامل «لم أدرك إلا بعد فوات الوقت أنه كان حناناً شاذاً قد جاوز حده، ومن الحنان ما يهلك» (صفحة ١٥).

سجن بهذا الضيق لابد أن يولد الرغبة في التحرر في وقت مبكر جداً. في طفولته ضاق كامل بسجنه في أحياء كثيرة، وتطلع الى الحرية والانطلاق (صفحة ١٦). بعد سن الرابعة كان يلح في طلب السماح في اللعب مع أترابه فتلح أمه في الاصرار على الرفض. يقول: «كنت إذا ضقت باصرارها بكيت أو ثار بي الغضب ثورة لأعف فيها عن شد شعري وتمزيق ثيابي، ولكن شيئاً لم يكن ليجعلها تدعن لرغبتني في الابتعاد عنها» (صفحة ١٨).

وقد ألف كامل هذا السجن الانفرادي طويلاً حتى أنه حين ذهب الى المدارس وحين خرج الى الحياة وعمل موظفاً عجز عن الانسجام مع الآخرين. طيلة عمره في الرواية لم يتخذ رفيقاً أو صديقاً، وفشل في كل علاقاته الاجتماعية والانسانية.

الانسان الذي يعيش طفولته ومراهقته وصدر شبابه سجيناً حقيقياً لا

يستطيع أن يتمرد إلا كما يتمرد السجناء — خفية وسراً. لهذا اتخذ تمرد كامل أشكالاً منحرفة وملتوية . في سن الثالثة عشرة تعرف إلى معنى العلاقات الجنسية والنكاح والانجاب — وهى كلها مواضيع أثارها في ذهنه زواج أخته وحبلها وانجابها طفلة — عن طريق الخادمة لأن أمه وأخته وأخاه رفضوا أن يوضحوا له هذه المعميات. مارس الجنس سراً مع هذه الخادمة، وضبطتهما أمه متلبسين، فطردت الخادمة، ووبخته وهددته بعقاب الله وعذاب جهنم. ومن هنا وقر في ذهنه أن الزواج والجنس أمران مترادفان ومعينان (ص ٣٧).

لكنه عندما راهق اكتشف — وحده — العادة السرية وأدمن عليها . ولم يتخيل نفسه يمارس الجنس الا مع الخادومات الدميات. ويُرّجع غالى شكرى هذه اللوثة في خياله وحياته لتجربته الاولى مع الخادمة الدمية التي طردتها أمه من البيت، لكنها كانت أعجز من أن تطردها من تخيلات وأفكاره (شكرى ، ١٩٦٩ : ٣١).

وبعد ذلك لم يمر يوم على كامل دون أن يتمرد بشكل أو بآخر على السجنون المادية والعاطفية والدينية والاخلاقية التى حبسته أمه خلف جدرانها. تعددت أشكال التمرد لكن الجوهر كان واحداً، وهو محاولة القفز فوق الاسوار والتحرر من الأسر. عرف الى جانب العادة السرية أحلام اليقظة. يقول: «انه سجن مفتوح الأبواب ولكن لا سبيل الى تجاوز عتبه ولم أجد من متنفس غير الاحلام.. كنت أمكث في الفصل غائباً عما حولى وخيالى يصنع المعجزات، يحارب ويقتل ويقهر... الخ» (صفحة ٤٢ — ٤٣).

وقد أورثه الادمان على العادة السرية شعوراً دائماً بالذنب. وحين قيل له أن الله موجود في كل مكان وزمان ولا تخفى عليه خافية أحس بخوف مروع الى جانب احساسه بالذنب، وفكر بالانتحار وعزم عليه ثم تنازل عنه وفشل في تنفيذه (صفحة ٤٣ — ٤٦).

ولما كانت عقلية أمه ضيقة الابعاد متمزته الحدود عمد الى كتمان همومه

ولواعج قلبه عنها، ولجأ الى الاستعانة بالمجلات يستشيرها في موضوع حبه وهوم قلبه (صفحة ٦٦ و ٧٨).

وقد تفجر وعيه بأزمته وتعاضم تبرمه بحاله وسخطه على أمه حين بدأ قلبه يتعلق بفتاة النافذة وألحت عليه خواطره بأن سعادته وصلاح حاله مرهونان بالزواج منها. خجله وخوفه وفقره ومعرفته بأن أمه لن تتقبل فكرة زواجه — كل هذه الأمور أوهمته أنه لن يحظى بتحقيق أمنيته في الزواج من رباب، ودفعه هذا الى معاقرة الخمر (الصفحات ٨٥ ، ٩٩ ، ١٨١)، والى الساقطات في المواخير (صفحة ٨٨ — ٨٩)، والى شراء أوراق اليانصيب، وبهذا أعطى نفسه «زاداً جديداً للاحلام يضاهي نشوة الخمر» (صفحة ١٠٠). ويصور كامل حاله في هذه الفترة المضطربة من حياته بقوله:

كنت وما أزال في جذب ودفع متواصلين، بين اقتحام الدنيا والجفول منها، بين حبسيتي وأمي، بين ادمان العادة الجهنمية ورغبة الاقلاع عنها، فجاء نزاع جديد بين الميل الى الخمر والتوبة عنها زادني رهقاً، حتى انقلبت ارجوحة تدفعها الشياطين وتجذبها الملائكة، ولا تكف عن التأرجع لحظة واحدة. (صفحة ٩١).

في هذه الفترة الحرجة توفي جده واضطربت الاوضاع المالية لكامل وأمه، مما اضطرهما للاستغناء عن الخدم والانتقال الى شقة صغيرة وبيع معظم أثاث البيت. وهنا بدأ كامل يستسلم لمزيد من الأحلام والأفكار المنحرفة، فراح يحلم بموت أبيه لكي يرثه (صفحة ٩٧). ولما لم يمت أبوه بالسرعة التي تمنّاها ذهب الى أبيه مرتين يطلب منه عوناً مالياً يستعين به على الزواج (صفحات ١٠٢ — ١٠٨، ١١٤ — ١١٧). وفي المرة الأولى خيب أبوه رجاءه، وفي المرة الثانية اغلظ كامل القول لابيه وصاح به بغضب وانفعال: «لا بد أن آخذ ما أحتاج اليه .. هذا بيتي وما به من مال فهو مالي، ولن تمنعني قوة عما أريد». وهنا ثارت ثائرة الأب وطرده ولده شرطردة واتهمه بأنه يهدده بالقتل (صفحة ١١٧).

المهم هنا أن كامل قام بزيارة أبيه من وراء ظهر أمه. بل إن كل انحرافاتة في هذه الفترة كانت تقام من وراء ظهرها، ومنها ممارسته للعادة السرية وأحلام اليقظة والتردد على الحانات، وقصة الحب الصامت، وشراء أوراق اليانصيب، ومحاولة الاستعانة بأبيه وغير ذلك.

وفجأة يموت (رؤية لاذ) ويصل كامل الى حقه في تركة أبيه. وتبدأ مرحلة جديدة في حياة كامل، مرحلة يتيسر له فيها المال و يتوج قصة حبه بالزواج. ما يهمنا هنا هو أن هذا الزواج يتم رغم أنف أمه، فهي لم توافق عليه باختيارها وارادتها. وقد كان هذا الزواج احدى قمم التمرد على أمه، لأن كامل أقدم عليه ليحقق به سعادته ولو على حساب سعادتها. انها تحاول مرات عديدة أن تشنيه عن التفكير بالزواج وعن الاقدام عليه. يقول كامل: «ثم جاء دور أمي .. فأخذت أتمرد عليها وان لبث تمردي ناراً مكنونة لا يتطاير لها شرر. ونشأ ذلك من موقفها الغريب حيال ما يذكرها بزواجي عاجلاً أو آجلاً» (صفحة ٧٩).

فكرة زواج كامل جعلت أمه تغضب من أختها حين طرحت الموضوع عليها، كما دفعتها الى أن تطرد الخاطبة من بيتها (صفحة ٨٠). وتقول لولدها تبريراً لتصرفها: «انهن لا يرمن سعادتك، ولكنهن يردنك مطية لسعادة بناتهن» ثم تقول: «لا يجوز ان يتزوج الشخص قبل ان تكتمل رجولته». ويتساءل كامل: «اذا لم تكتمل رجولتي في السادسة والعشرين، فمتى تكتمل اذن؟» ثم تقول أمه أنها تريد له عروساً جديرة به، جميلة وذات خلق ومن أسرة كريمة وغنية (صفحة ٨٠). ثم تذكره أن الزواج ليس لهواً ولعباً. وتذكره بمأساتها في زواجها، وتردد على مسامعه مقولتها المألوفة: «السن أمر عظيم الخطورة، وأنت بعد في حكم الاطفال» (صفحة ٨٢). ثم تلمح الى أن زواجه سيكون على حسابها فتقول: «لقد عشنا معاً طوال هذا العمر، وليس لي أمل في هذه الدنيا سواك، فاذا نبذتني لم أجد لي مأوى» (صفحة ٨٢). وازاء هذا كله يسخط كامل على أمه «لأنها قابلت رغباتي الكامنة بثورة تجاوزت حدود الحكمة! وتماذيت في سخطي فقلت

أنها ذكرت نفسها أكثر مما ينبغي ونسيتني أكثر مما ينبغي .. فرميتها بالأناثية .. وعقب حديثنا الغريب بيومين أصابتها وعكة مرض الزميتها الفراش» (ص ٨٣).

كان هذا موقف أمه من الزواج كفكرة، وحينما أصبح الزواج مشروعاً ملموساً لم تتدخل الأم عن موقف الرفض، ولكن رفضها اتخذ أسلوب الانتقاد والنصيحة. حين يخبر كامل أمه انه قرر ان يتزوج تلوح في عينها الدهشة والذهول والغباء، ويصاب صوتها بالتهديج والانفعال. ويقول لها أنه قرر ذلك لأنه كبير فتصفه بأنه طفل مكابر. وتسأله عن هذه التي ينوي أن يتزوجها وحين يقول انها مدرسة تقول باستياء: «مدرسة... إن بنات الأسر الطيبة لا يشتغلن مدرسات! والمدرسة إما أن تكون دميمة أو مستهترة مسترجلة». وحين يستنكر هذا القول تقول بنرفزة: «لا داعي لاهانتني من أجل فتاة مدرسة....» وحين تجد ابنها مصمماً تقول في حذر واشفاق: «ألا يحسن بك أن تؤجل الشروع في الخطبة حتى يحول الحال على موت أبيك؟» ويرفض كامل هذا الاقتراح ويعتبره مكرراً مكشوفاً (صفحات ١٣٢ - ١٣٥). وحينما يقوم كامل بإتمام الخطبة يأتي الى أمه فرحاً ويخبرها بما تم بقله: «لم أكن أقدر أن ينتهي مسعاي إلى ما انتهى إليه...» فقالت بحدة: «يا الله! أكنت تتصور أن يرفضوا يدك؟! يالك من طفل غريب. ألا تعلم أن الفتيات لا حصر لهن، وخير من فتاتك الف مرة، يرضين بك عن طيب خاطر!» (صفحة ١٤٥).

و يتزوج كامل الفتاة التي ظل يرنو اليها ويحبها في صمت طيلة ثلاث سنوات. لكنه يواجه مشكلة العجز الجنسي مع زوجته. وقد كانت أمه أحد الاسباب الرئيسية لعجزه. في الليلة الأولى من زواجه يتذكر أمه ويتساءل: «تري هل نامت؟ .. هل تتخيل ماذا أفعل الآن؟ وتضاعف اضطرام الحجل بنفسه، وشعرت بما يشبه الاختناق» (ص ١٥٧). و يشرح كامل أحاسيسه تجاه وجود أمه في بيت الزوجية بقوله: «كنت أجد نحوها احساسين متناقضين: احساساً بالرغبة في وجودها معي .. وآخر بالحجل الاليم لوجودها في بيت الزوجية. والحق أنني ما كنت أذكرها حتى يتندى جبيني خجلاً» (ص ١٦٣).

ان وضع كامل مع أمه وزوجته يشبه شياً كبيراً حال (بول) مع أمه وحبيبته مريم في ابناء وعشاق. فهو مشدود الى زوجه بوئاق المحبة الطاغية رغم عجزه الجنسي، كما أنه مشدود الى أمه بوئاق الالفة والمحبة البنوية القوية، وهو بين أمه وزوجه ممزق أعنف التمزيق، وكلاهما تناصب الأخرى العدا ولا سبيل الى التوفيق بينهما. كذلك فان كامل، مثل (بول)، يجد متنفساً لغريزته الجنسية مع امرأة مجربة تكبره سناً، وهى عنايات. ومع أنه ظن أن الحياة قد صفت له، فانه لم يتخلص من الخوف وكان يتساءل: «أكنت سعيداً حقاً؟ كان قلبي موزعاً بين أمي وزوجي وعنايات، بين الذكريات العميقة والهيام السامي والحب العام، وحسبتي قد آويت من زوايا الحياة الى مرفأ هادئ. لكن القلق عاد يطرق بابي .. كنت أمضى في طريقي، ثم أتوقف حيناً بعد حين في تردد كأني أتساءل عن شيء نسيته .. ثم يتبين لي أنه ليس ثمة شيء يستوجب التردد فأمضى على وجهي». (ص ٢٢٣).

لكن سعادة كامل لم تكن الا وهماً وسراباً وقصراً في الهواء. في يوم واحد تمرض زوجه وتموت، ويكتشف أنها كانت تخونه مع الطبيب، قريبها، وأنها ماتت نتيجة لعملية اجهاض اجراها عشيقها الطبيب في محاولة فاشلة لستر الفضيحة واخفاء الخيانة. وفي مساء اليوم نفسه يعود الى بيته حزيناً حاقداً ثملاً، وتستقبله أمه المريضة قعيدة الفراش مواسية معزية، فيرفض التآسي وقبول الغزاء، ويصب الحقائق المفجعة في مسامع أمه في غير حذر ولا تأن ولا رحمة، وتظن أنه يهذي، فيؤكد لها الحقائق المرة ويتبع ذلك بأقصى كلام سمعته منه طيلة حياتها. يتهم أمه بالكذب والشماتة ويصيح بها في جنون: «اشمتي ما شئت لك الشماتة، ولكن اياك أن تتصورى أننا سنعيش معاً. انتهى الماضي بخيره وشره ولن أعود اليه .. سأنفرد بنفسى انفراداً ابدياً. لن أعيش معك تحت سقف واحد .. احسبيني منذ اليوم في عداد الاموات» (٢٤٥ - ٢٤٦).

وتموت أمه في الليلة نفسها تحت تأثير المرض والحزن والفجعة. لكنه لا يعلم بموتها إلا في اليوم التالي فيجث جنونه حزناً على فقدائها وندماً على قسوته عليها،



و يتهم نفسه بقتلها و بقتل زوجه من قبلها. و يغيب عن الوعي ثلاثة أيام ثم يطرحه المرض فيلازم الفراش زهاء شهر. و يبدأ مرحلة النقاهة بأحاسيس متناقضة. فهو طوراً يفكر في العودة الى الحياة «شخصاً جديداً، سليم الجسم والروح ... فألقي نفسي في خضم الانسانية بلا خجل ولا نفور، أحب الناس و يحبونني، ... وأندمج في كائنهم الكبير عضواً عاملاً نافعاً» (٢٥٤). وطوراً آخر يفكر في اعتزال الحياة والناس والتصوف.

لكن مجيء عنايات المفاجيء ينقذه من هذا التمزق ومن هذا العذاب والعقاب والتكفير، و يضعه على بداية الطريق الى حياة سوية.

وهكذا تتوازي لدى (أوديب) و (بول) و كامل مسيرات الوصول الى الحكمة ومعرفة الذات. فكل منهم لا يعرف حقيقة نفسه وجوهر ذاته الا بعد العبور فوق جسر الدموع والآلام. وتصدق عليهم جميعاً الحكمة القديمة: لكي يتعلم الانسان الحكمة لابد له أن يجرع كأس الآلام «Man must suffer to be wise» . (Agamemnon , line 180)

ثانياً: قصة أورست (ORESTES)

يرى الدكتور عز الدين اسماعيل أن عقدة أوديب لا تكفي وحدها أساساً لتفسير قصة السراب كلها، وأن شخصية كامل مزيج من «ديمتري»^(١٥) و «هاملت»^(١٦) ومن نفسه. و ينتهي الى القول بأن «الجزء الأكبر في شخصية كامل لا تفسره لنا إلا عقدة (أورست). وتحليل شخصيته على هذا الأساس هو الطريقة التي نراها الآن كافية لأن نضع لهذه القصة معنى» (اسماعيل، ١٩٦٣: ٢٥٩).

ولكي نفهم هذا القول نرى أن نقدم له بملخص لقصة (أورست) وبشرح موجز لمعنى عقدة (أورست) ودلالاتها.

أما القصة فتتركز حول إقدام (أورست) على قتل أمه (كلايتمسترا) عن

قصد وتصميم. وليست قصة القتل هذه سوى حلقة من حلقات الغدر والاغتيال والكذب والخيانة والشر التي ابتلي بها ابناؤه (أثريوس) (Atreus) حاكم مدينة أرجوس (ARGOS). كان (أثريوس) هذا في نزاع دائم مع أخيه الوحيد (ثييست) (Thyestes) على العرش وفي الحب. وفاز (أثريوس) بالعرش لكن أخاه انتقم منه بايقاع زوجته (أى زوجة أثريوس) في حبه. فلجأ أثريوس الى الغدر والحيلة، وأعلن أنه يرغب في مصالحة أخيه ودعاه الى وليمة. وفي يوم الوليمة ذبح ابني أخيه الصغيرين وقدم لحمهما طعاماً لأبيهما. وحين علم (ثييست) أنه أطعم لحم طفليه أدرك أنه أصبح ملعوناً في نظر الآلهة والناس ففر من البلاد مع طفله (أجستس Aegesthus) الذي نجا من الذبح، وراح يستمطر اللعنات على (أثريوس) وذريته.

وصفاً الجولاً أثريوس فحكم البلاد في هدوء حتى مات عن ولدين خالدين في التاريخ اليوناني، أولهما (أغاممنون) ملك أرجوس وزوج (كلايتمنسترا)، ووالد (أورست) و (الكتر) و (افيجنايا)، وقائد القوات اليونانية في الحروب الطروادية، وثانيهما (مينيلاوس Menelaus) الذي تزوج (هيلين) أخت (كلايتمنسترا) وابنة ملك اسبارطة، وبسبب هذا الزواج أصبح (مينيلاوس) ملكاً على اسبارطة. كانت هيلين أجمل جميلات اليونان في عصرها. وكان أمراء اليونان يتنافسون على الفوز بقلبيها لكنهم حسماً للخلافات والفتن تعاقدوا أن يدينوا بالولاء والطاعة لها ولن تختاره من بينهم بعللاً لها.

وذات يوم حل الأمير (باريس) ابن ملك طروادة ضيفاً عند ملك اسبارطة فوقع في حب هيلين ووقعته في حبه، واغتنام فرصة غياب (مينيلاوس) عن بلده وفرت (هيلين) مع (باريس) الى طروادة، تاركة وراءها زوجها واطفالها. وكان هذا الحادث المؤلم بداية وقوع اللعنة على أولاد (أثريوس).

اعتبر أمراء اليونان هذا العمل من (باريس) انتهاكاً لقوانين الضيافة واعتداء على شرف الأمة اليونانية بأسرها، ووضعوا أنفسهم تحت تصرف

(مينيلاوس) وأخيه (أغاممنون). ثم جمعوا الجيوش الجرارة وأمروا عليهم (أغاممنون) قائداً عاماً. وحين اجتمعت الجيوش في ميناء (أوليس Aulis) تمهيداً للابحار الى طروادة هدأت الرياح واستحال الابحار وبقي الجيش حبيس الميناء حتى ظهرت بوارد التمرد والفوضى في صفوف الجيش وقدمت القرابين المعتادة لاله الريح دون جدوى. ثم ارسل القائد (أغاممنون) وفدا لاستشارة كاهن الآلهة في معبد (دلفي)، فأشار الكاهن بضرورة ذبح ابنة القائد الحبيبة (افيجنايا) قرباناً للآلهة. وكان هذا الحادث حلقة ثانية من اللعنة التي حلت على ذرية (أتريوس).

ووجد (أغاممنون) نفسه بين نارين. فإما أن يذبح ابنته ويحطم سعادة أسرته وراحة باله لكي يحافظ على مركزه وعلى تماسك جيشه ولكي يمنع قيام فتنة داخلية وحرب أهلية في البلاد، أو أن يستمع لنداء قلبه ويبقي على حياة ابنته وتماسك أسرته ويفقد قيادة الجيش ويواجه الفتنة والحرب الأهلية. واستسلم مكرهاً، فذبح ابنته وانقذ الجيش ووحدة البلاد. ألغى دوره وواجباته كأب ورب أسرة ليقوم بواجباته كقائد جيش ورئيس دولة.

بعد ذلك هبت الرياح وأبحر الجيش وقائده وامراؤه الى طروادة واضطرتهم ظروف الحرب الضروس الى التغيب عن أوطانهم وزوجاتهم واطفالهم عشراً من السنين.

وبقيت (كلايتمنسترا) في (أرجوس) تجتر احزانها ومخاوفها وهمومها وقهرها. ظلت عشراً من السنين ملكة قلقة خائفة من الفتن الداخلية، وأما ثكلي، وزوجة تركها زوجها في فراش بارد بعد أن فضل عليها مُلْكُه وأجاده وجواريه وعشيقاته، أو هكذا كانت تأتيها الاخبار والاشاعات. وفي هذه المحنة الرهيبة جاءها من يوغر صدرها ويزيد حقدًا على زوجها ويحاول في الوقت نفسه أن يستميل قلبها، فوثقت به، وصدقته، ومالت اليه وكرهت زوجها. انه (أجستس) (Aegesthus) ابن عم أغاممنون، الابن الثالث لثيشت، وهو الوحيد الذي نجا بعد أن ذبح أخواه طفلين ومات ابوه مغدوراً مقهوراً ملعوناً.

وتسقط طروادة و يعود (أغاممنون) قائداً منتصراً مظفراً، وتستقبله زوجته استقبال الفاتحين، وتتودد اليه بكلام غامض ظاهره محبة خالصة وعتاب رقيق وباطنه حقد مدمر وغل دفين. ويستسلم (أغاممنون) لزوجته في خيلاء ويطمئن اليها في غفلة، وينقاد لها في يسر وسهولة حتى تدخل به الحمام فتنهال عليه بسيف الغدر حتى تقتله. ثم تعلن للملأ أن (أغاممنون) كان، مثل أبيه، خائناً وملعوناً من الآلهة وأنه أهلها كزوجة وخانها مع جارياته وعشيقاته، ولذلك فقد استحق هذه الميته. كذلك فانها تعلن للملأ أنها منذ اليوم ستحكم البلاد مع زوجها الملك الجديد (أجستس)، وأن على الشعب أن يرضى و يذعن.

وتحكم (كلايتمنسترا) وزوجها البلاد سبع سنين كاملة. وفي هذه الاثناء يكبر (أورست) و (الكتر) (ابنها وابنتها من أغاممنون). أما ابنتها فكان يعيش في المنفى بعيداً عن القصر، وأما البنت فكانت تعيش في قصر أبيها مع الخدم. وتذكر الأم أن ابنها ملزم، حسب أعراف المجتمع اليوناني وديانته حينذاك، بالانتقام من قاتلي أبيه. لكنه، حسب القانون نفسه، محرم عليه أن يسفك دم أمه — ومن هنا كانت مشكلة أورست وعقدته: أن يقتل وأن لا يقتل. ولكن الآله (أبوللو) يأمره ان ينتقم لأبيه و يقتل القاتل ولو كان أمه، و يعده بالحماية والتبرئة في عيون الآلهة والناس. وهكذا يقوم (أورست) بمعاونة أخته (الكتر) بالثأر لأبيه وقتل أمه وعشيقها ثم يسلم نفسه بعد ذلك لمحكمة أثينا لتبريء ساحته، أو تدينه وتسلمه لآلهات الغضب والانتقام (the furies) المكلفات بعقاب الابناء الذين يقتلون أحد والديهما. وتقرر المحكمة أن جريمة الزوجة التي تخون زوجها في غيابه وتغتاله لدى عودته أفظع من جريمة الابن الذي يقتل أمه حين تكون هذه الأم قد خانت زوجها وقتته. ولهذا تبريء ساحته.

معنى عقدة أورست: تمثل (كلايتمنسترا) دور الزوجة المستبدة والأم المسيطرة. قضية السيطرة في الأسرة قضية هامة في مجتمع الأسرة الأبوية (Patriarchal family)، أي المجتمع الذي يعتبر السلطة والسيطرة في الأسرة من حق الرجل (الزوج والاب) ووقفاً عليه . ولهذا فان المرأة التي

تغتصب من من زوجها السيادة على الأسرة هي في نظر هذا المجتمع امرأة منحرفة مجرمة لا ترعى حرمة لقانون مجتمعا. المرأة الصالحة في هذا المجتمع هي بنيلوبي (Penelope)، أى الزوجة التي تخضع لزوجها ان حضر وتظل وفيه له حريصة على شرفه وأسرته ان غاب. وهى زوجة لا تسأل زوجها عما يفعل، ولا تتسقط أخطائه، ولا تحاول أن تفرض عليه ما لا يطيق أو ما لا يتفق مع طباعه، بل تقبله كما هو، بخيره وشره، وحسناته وسيئاته، وتحترمه وتكرمه وتروض نفسها على الرضا بما يريد. (١٧)

لكن (كلايتمنسترا)، ومثيلا نها (الملكة جرتروود في هاملت ، والسيدة موريل في ابناء وعشاق، وأم كامل في السراب) نساء متسلطات مغتصابات. كل منهن تريد أن تصوغ زوجها على هواها، فان منعه دوره الاجتماعي أو طبعه، أو أى سبب آخر، من الاستجابة لرغبتها، غضبت منه، واحتقرته، وحقدت عليه، وأهملت، وانصرفت عنه الى عشيق آخر ينصاع لارادتها و يكون على هواها. وقد يكون هذا العشيق رجلا آخر مثل (اجستس) في مسرحية أغاممنون أو (كلوديوس) في مسرحية هاملت، وقد يكون ابناً من ابناء هذه الزوجة المتسلطة مثل (بول) في ابناء وعشاق وكامل في السراب . ثم ان اهمال هذه الزوجة لزوجها وطرده من مكان الصدارة في قلبها وفي حياة الاسرة ليس في جوهره الا قتلاً للزوج واغتصاباً لدوره ومكانته في حياة الأسرة، كما أنه في نظام الأسرة الابوية انتهاكاً لما يعتبره المجتمع قانوناً طبيعياً.

من ناحية أخرى يقف الابن الطفل من أبويه المواقف التالية: فهو من جهة ينافس أباه في الفوز بحب أمه وقلبها ويتمنى لهذا الأب أن يختفى — يموت أو يُقتل أو يسافر ولا يعود. وهو من جهة ثانية يشتهي أمه ويتمنى أن يكون فراشها له ولها وحدهما. موقفه تجاه أبيه يسمى الميل الى قتل الاب (Patricide). أما شهوته لأمه فهي الميل الى الفسق بالمحارم (Incest). في الأسرة الابوية السليمة تتحول الرغبة في قتل الأب الى احترام لهذا الاب وتبجيل له واعتزازه، وذلك بدافع الخوف من سطوة هذا الأب ومن قدرته على خصي ابنه (Castration)،

وبتأثير التربية الاجتماعية والدينية كذلك يتغلب الطفل، حين ينمو ويكبر، على حبه لأمه المختلط بشهوته وميله الى الفسق بها، فيطهر حبه لها من كل أثر للشهوة. وهذا ما يسمى بعملية التصعيد والتسامي (Sublimation) التي تحتوي على عناصر من الكبت العفوي للشهوة المحرمة (Suppression) ومن التضحية بالذات من أجل الأب (Self sacrifice) ومن رغبة في تكريس النفس لاسعاد الأم وتلبية كل رغبة لها. ويتم هذا كله بتأثير التربية الدينية والأخلاقية السائدة في المجتمع.

هذا هو ما يحدث بالنسبة للمراهق السوي الذي يعيش في أسرة سوية تكون العلاقات الزوجية والأسرية فيها علاقات سوية خالية من أي انحراف أو تشوهات. أما اذا كانت العلاقات الأسرية التي يشب الطفل في ظلها علاقات منحرفة، فإن ما فيها من انحراف ينعكس على الابن و يؤثر فيه تأثيراً سيئاً.

بالنسبة لأورست، مثلاً، كانت العلاقات بين أبيه، خلال سنى حياته الطفولية، علاقات سوية. كان الزوج ملكاً مهيباً في شعبه مطاعاً في بيته محباً لأطفاله ومحبباً لديهم. وبهروب (هيلين) مع عشيقها اضطربت احوال البلاد كما اضطربت أحوال الأسرة. اضطر الزوج أن يخدع زوجته ويكذب عليها حين طلب منها احضار ابنتها ليزوجها من فارس فرسان اليونان (أخيل)، فنفذت طلبه بسرور وسعادة وشوق. وكم كانت فجيعتها مرة وأليمة حين رأت قرّة عينها تذبح قرباناً للآلهة بدل أن تزف الى عريس عظيم. كانت خدعة فظيعة حرية بأن توغر صدر الأم على زوجها، وكانت التضحية بالفتاة، بالنسبة للأم، جريمة منكرة ينفطر لها القلب. وفوق الخديعة والفجيعة جاء الهجر والقطيعة — هجر الزوج زوجته سنوات طويلاً. ولا شك أن هذه الاضطرابات المؤلمة في أسرة الطفل (أورست) تركته بدوره نهياً لاضطرابات فتاكة. ذاك أبوه غائب في حرب ضروس قد لا يعود منها، وتلك أخته الكبيرة تذبح، وهذه أمه تعيسة غاية التعاسة، ثم يدخل البيت رجل غريب يغتصب مكان أبيه في فراش أمه، ثم تقوم أمه بابعاده عن قصرها ونفيه من حياتها بحجة انها تخاف عليه من مؤامرات القصر أو تمرد



الشعب، ثم يعود أبوه مظفراً فيقتل يوم وصوله الى بيته بيد امرأته، و يُعلنُ عشيق أمه وعدو أبيه ملكاً على البلاد.

ولا شك أن أشد ما عانى منه (أورست) كان خيانة أمه وغدرها. أما عاشق أمه وقاتل أبيه فان تأثيره النفسي على أورست كان طفيفاً اذا ما قيس بالتأثير المدمر الذى خلفته فعال امه. ولهذا فان (أورست) حين يقتل عاشق أمه وقاتل أبيه ومغتصب عرشه لم يشعر بأى ندم أو خوف. أما قتله لأمه؟ فتلك قضية معقدة أشد التعقيد.

في معرض تحليله النفسي لمشكلة الامير هاملت وتردده الطويل في الانتقام لابيه حتى بعد معرفته للقاتل، يقول الدكتور عز الدين اسماعيل أن هاملت كان يعاني من عقدة (أورست). وهذا قول يحتاج الى شىء من الشرح.

لقد اسلفنا أن الطفل يشتهي أمه. في الأسرة السوية حين يكبر الطفل يتغلب على عنصر الشهوة في حبه لأمه و يكبت هذا العنصر بشكل عفوي بحيث يصبح حبه لأمه حباً بريئاً طاهراً خالياً من اي عنصر محرم. لكن إذا غاب الأب (بسبب الموت أو السفر) واتخذت الأم لنفسها زوجاً ثانياً أو عشيقاً، يضطرب حال الابن وتعود شهوته المكبوتة الى الظهور، بعد أن صار يعتبرها حراماً ويحتقرها و يكبتها. ولهذا يتجدد الصراع الداخلي في الابن — صراع بين شهوة الفسق بالمحارم (Incest) من جانب والرغبة في التمسك بأهداب الفضيلة وعدم الانزلاق في مهاوي الرذيلة من جانب آخر. ولهذا تتولد فيه الكراهية لأمه ويدخل في معاملته لها شىء من القسوة. لكن كراهيته وقسوته ليست حقيقة، بل هى أسوار وخنادق ومتاريس يتحصن الابن وراءها كيلا ينزلق الى حب آثم. إنه يكره أمه ليبعدها عن نفسه، و يقسو عليها — وربما يقتلها — ليحمي نفسه. وهذا القتل أو القسوة وتلك الكراهية شر لا شك فيه، لكنهما شر يُلجأ اليه و يُستعان به لدفع خطر أكبر وشر أعظم (اسماعيل، ١٩٦٣: ١٤٧ — ١٥٨). من ناحية أخرى فان قتل (أورست) لأمه له مغزى آخر لا يقل أهمية. فهو تمرد على وضع أسري منحرف

يتيح للمرأة أن تتمتع في الأسرة بسيطرة وسطية ليساً حقاً طبيعياً لها، ومحاولة يائسة لتصحيح ذلك الوضع باسترجاع تلك السيطرة — بالقوة والعنف إن لزم الأمر — ووضعها في يد صاحبها الشرعي — أي في يد الزوج أو، إن غاب الزوج، في يد ابنه الذي من حقه أن يرث حقوق أبيه ومركزه.

بهذا الشرح يتضح لنا بعض التوافق بين مشكلات (أورست) و (هاملت) من جانب، ومشكلات (بول) وكامل من جهة أخرى. أم (بول) وأم كامل تقوم كل منهما بطريقتها الخاصة وحسب الأنماط المألوفة في عصرها وحضارتها، بدور (كلايتمنسترا)، فتحترق زوجها وتهمله وتطغى عليه وتسلبه دوره في حياة الأسرة.

السيدة موريل في أبناء وعشاق تسعد بزوجها وتسعده أشهراً معدودات فقط ثم تكتشف أنه ليس الرجل الذكي الطموح المستقيم الصادق الذي كانت تتمناه، وأنه يكذب عليها ويخدعها، فتتمرد عليه وتنزع منه السلطة في الأسرة، وتروح تسخر منه وتناكفه وتحظر عليه التدخل في شؤون أولادها أو المشاركة في رسم مستقبلهم. حين يقص زوجها شعر طفلها الجميل (وليم) تنقض عليه كالنمرة الشرسة وهي تود لو تعاقبه (ص ٢٤). وتمنعه من تأديب الولد (وليم) حين يزق ياقة قميص ابن الجيران (ص ٦٤ — ٦٨). وييدي الزوج رغبته في أن يجعل من (وليم) عامل مناجم مثله فتنهيه وتسخر منه وتصر على أن تلحق (وليم) بالمدارس وأن تجعل منه موظفاً مثقفاً (ص ٦٩). وتعلن السيدة موريل في احتقار زوجها وتألّب أولادها عليه حتى يحس الرجل أنه وحيد وغريب ومنبوذ في بيته. وهي بهذا تقتله كما قتلت (كلايتمنسترا) زوجها (اغامنون). لكن القتل هنا معنوي ويتم بطريقة عصرية. كذلك فإن السيدة موريل تبدي اهتماماً واحتراماً خاصين لغير زوجها من الرجال. فهي مثلاً تستضيف رجل الدين السيد (هيتن Heaton) في بيتها وتتحدث معه في مواضيع دينية وثقافية لا يفقه زوجها شيئاً منها، وتقدم لضيفها الشاي والكعك في أطباق خاصة فوق مائدة أنيقة مرتبة مما يشير حفيظة زوجها وغيرته لأنه لا يجد من زوجته اهتماماً واحتراماً مشابهين. كذلك

فانها تكشف لا بنها (بول)، بعد أول زيارة قاما بها الى مزرعة السيد ليفرز (Leivers)، عن إعجابها بهذا الرجل وتتمنى لو كانت زوجة لرجل مثله. وهذه الأمنيات المكبوتة لديها توازي، لو تحقق لها النجاح، ما فعلته (كلاليتمنسترا) في غياب زوجها، حين اتخذت من (أجشس) عشيقاً.

وينشأ أبناء (الترموريل) في هذا الجو العائلي المتوتر المنحرف. و يقفون في طفولتهم الى جانب أمهم وضد أبيهم. ولكنهم حين يكبرون يشعرون بالتمزق بين حبهم لأهمهم وانجذابهم اليها ورغبتهم في التخلص من استبدادها والاستقلال عنها. وقد أشرنا من قبل (صفحة ٢٩ - ٣٠) الى معاناة الابن الاكبر (وليم) من هذا التمزق. كما أشرنا (صفحة ٣٠ - ٣٣) الى محاولات (بول) للتخلص من هذا التأزم العنيف في أعماقه، والى تخلصه من هذه الأم المستبدة العنيدة عن طريق قتلها بالمورفين. وبيناً كيف عاش بول بعد ذلك فترة مؤلمة من اتهام النفس والعذاب والتكفير الى أن تحرر أخيراً من عقدة الذنب وبدأ حياة جديدة سوية.

أما أم كامل في السراب فتطلق زوجها طلاقاً نهائياً قبل أن يولد ابنها كامل. وهى لم تطلق زوجها فحسب، بل تطلق معه كل جنس الرجال، وتكون مع طفلها أسرة وحدهما. وهكذا ينشأ كامل في أسرة غريبة التكوين، أسرة بلا أب، أسرة قامت فيها الأم بدور الأب والأم معاً. باختصار عاشت أم كامل مع ولدها أسرة أمازونية.^(١١) وقد رضع كامل من أمه كراهية دائمة لأبيه. ولهذا نشأت لديه العقدة الاوديبيية بشقيها: كراهية لأبيه وحب آثم لأمه. لكن الأثم في هذا الحب كان يتخذ شكل البراءة الطفولية التي لا تعي حقيقة ما تفعل. يقول كامل أنه كان ملتصقاً بأمه ليل نهار، «أنام في حضنها، وأقضى نهاري على كتفها أو بين يديها... بل كنا نستحم معاً فتحطني في طشت عارياً وتجلس أمامي متجردة فأرشفها بالماء واقبض على رغوة الصابون النافشة على جسدها فأدلك بها جسدي» (صفحة ١٥). لكنه حين تتزوج أخته وتنجب بنتاً ويتساءل في براءة عن معنى الزواج والانجاب، ترفض أمه وإخوته أن يشرحوا له الأمر، فتتبرع

الخادمة المراهقة الدميعة القبيحة بشرح هذه الأمور له بأسلوب عملي في خلواتها به ويسعده هذا الشرح ويلذ له، الى أن «ضبطتنا أُمى متلبسين. ورأيت في عيني أُمى نظرة باردة قاسية فادركت أنني اخطأت خطأ فاحشاً» (صفحة ٣٧). وهكذا يدرك كامل لأول مرة، وهو في الثالثة عشرة من عمره، أن العلاقة الجنسية أمر معيب ومحرم. ولكنه حتى هذه اللحظة لا يدرك الفرق بين العلاقة الجنسية التي تتم في ظل الزواج وتلك التي تتم خارج حدود الزواج. ظن أن كل علاقة جنسية، رغم ما فيها من لذة ونشوة، هي علاقة شائنة. ولهذا حين جاء الجد ذات يوم يعرض على ابنته (أم كامل) الزواج من ضابط متقاعد، وعلم كامل بالأمر، جُنَّ جنونه وانفطر قلبه، واندفع بين ذراعي أمه يقول لها في اضطراب وتوجع وإصرار: «ولكنه يريد لك امرأ معيباً محرماً». وتحاول أمه أن تشرح له الفرق بين الزواج الحلال والزنا الحرام فلا يفهم لأنه لا يريد أن يفهم. وتشير الى أنه سيتزوج يوماً ويتركها، فيتعهد لها بحماس: «لن أفارقك ما حييت» (صفحة ٣٨ — ٤١).

بعد ذلك يدخل كامل مرحلة المراهقة ويكتشف العادة السرية فيستقبلها بدهشة ولذة، ويعكف عليها في إدمان، ولكنه في خياله لا يمارس الجنس إلا مع الخادومات الدميعات. وتمتلىء حياته بالمتناقضات التي ينوء بحملها، (ممارسة العادة، ثم شعور بالذنب، ونكد طويل، وندم، وصلاة ودعاء، ثم ممارسة العادة من جديد، وهكذا) فيفكر بالانتحار ويشرع به ثم يفشل.

وبدأ كامل مرحلة الدراسة الثانوية وهو في السابعة عشرة. صار يعرف قيمة المظهر وراح يتأنق. وكانت أمه مفتونة بجمال مظهره حتى لكانها صبية تغازل فتاه. يقول كامل: «القت أُمى علي نظرة طويلة ثم قالت بسرور: كالقمر وحق كتاب الله...» (صفحة ٥٥).

وحين بدأ دراسته الجامعية في سن الخامسة والعشرين كان الاعجاب والافتتان بينهما متبادلا، فأمه كانت مفتونة بجماله، وهو بدوره كان يعاملها



وكأنها زوجة حبيبة. يقول: «أما أمي فقد... جفّ عودها واشتعل مفرق شعرها وسوالفها شيئاً، إلا أنها تمتعت بصحة جيدة كما حافظ وجهها على جماله وبهائه. وكانت ربما استسلمت في أحيان للاهمال فلا تعنى عنايتها المعهودة بهندامها، ولشد ما كان يتولاني الحزن والاستياء لذلك، حتى قلت لها مرة (لاقيني بالهيئة التي تلقين بها الضيوف). ولم تخيب رجائي ذاك فكانت تبدو لي وهي على أحسن حال، وطابت نفسي ورضيت» (صفحة ٥٩). وحين رأى فتاة النافذة وأحبها ودّ لوتنتبه له وتغيره اهتمامها، فراح يتفنن في التأنق من أجلها. وتظهر لديه بوادر النرجسية، يشجعه على ذلك تغزل أمه بجماله. يقول: «في صباح اليوم الخامس أطلت وقفتي حيال المرأة قبل أن أغادر البيت.. ينبغي أن أعترف هنا بأعجابي الشديد بذاتي.... وكان تأنقي مضرب الأمثال في البيت والمدرسة على السواء حتى لأذكر قول أستاذ اللغة العربية لي مرة: (لو أتقنت اللغة العربية إتقانك لعقد رباط رقبتك لما كنت اسوأ تلميذ عندي!) نظرت الى صورتني ذاك الصباح، وجعلت أمي ترمقني بأعجاب وتمازحني بكلمات كالغزل فقلت لنفسي أه لوتدري لمن أتأنق!..» (صفحة ٦٤ - ٦٥).

وفي هذ الفترة بالذات، حين بدأ كامل يحب في صمت امرأة أخرى، بدأ أول انفصال حقيقي وذو معنى رمزي هام عن أمه. كان رغم بلوغه السادسة والعشرين ينام مع أمه في سرير واحد. ولكنه الآن اشترى سريراً آخر وركبه في نفس الحجرة (صفحة ٧٥). وبدأ منذ ذلك اليوم ينظر الى أمه بقدر غير قليل من السخط. كما بدأت تلح عليه خواطر كالحواطر التالية:

إن مثل سعادتي هذه (أي سعادته بحب رباب) مما تعده أمي كفرأ لا يغتفر. وقلت لنفسي متغيظاً: «ربما كان أي ضرر يقع بي أخف لديها من كشف حبي!» (ص ٧٥).

وصار ينعم النظر في حياته فيجد عمره يمضي كل يوم في عمل يضيق به وفي وحشة لا تبدد إلا ساعتين، «ساعة المحطة، وساعات الأُنس بأمي في بيتنا. وحتى تلك الأوقات السعيدة لم تحلُ من تنغيص وألم، فعند حبيبتي يطاردني

طيف أمي، وعند أمي يخيفني طيف حبيبتني، وتولد من ذلك قلق عير.. فشملني بكآبة لا تريم.» (صفحة ٧٨ — ٧٩).

و يقول بعد ذلك: «بتّ أشعر بأني فريسة همين قاتلين: ترددي وأمي، ومن يدري فلعل أمي هي الهم كله. وتجمعت نفسي الحيرى تروم سلاماً تلوذ به، فأجمعت على أن أقابل الخطر وجهاً لوجه وليكن ما يكون» (صفحة ٨١).

أما هذا الخطر فكان مفاتحة أمه برغبته في الزواج. وقد فاتحها. فماذا كان رد الفعل عندها؟ «أصابتها وعكة مرض الزمته الفراش فلم أفارقها أثناء مرضها الا في اوقات العمل» (ص ٨٣). ثم يتصورها وقد ماتت وقبرت وراح يزور قبرها يرويه بالدموع. ثم يستيقظ من هذا التصور الآثم فزعاً نادماً ثائراً على نفسه فكفّر عن ذلك بالدعاء لها بطول العمر ثم بتقبيل وجهها بحنان» (صفحة ٨٤). ثم يقول: «طاردتني ذكرى هذه الخيالات كثيراً».

وهكذا تسيطر عليه الرغبة في موت أمه، ويلزمه الندم على تلك الرغبة. وحين تشفى من مرضها يلجأ الى معالجة ما يعاينه من إحباط بارتياح الحانات ومعاورة الخمر وزيارة بؤر الفساد، الخ.

وبعد أن تحسنت أحواله المالية بعد موت أبيه وحصوله على نصيبه من التركة قرر كامل أن يتزوج دون أن ينتظر موافقة أمه أو يسألها رأيها كما كان يفعل في السابق. اكتفى بابلاغها ووضعها أمام الأمر الواقع. قال لها فجأة ودون مقدمات: «سأتوكل على الله وأتزوج»، فتقول أمه في لهجة: «ستجدني راضية عنك ولو قتلتنني.. وأية أم لا تفرح لزواج ابنها ولو كانت وحيدة ليس لها سواه...» (صفحة ١٣٢). وهذا جواب لا ينم عن الموافقة بقدر ما ينم عن استسلام حزين. إن اختيارها لكلمتي «ولو قتلتنني» ينم عن أنها — في أعماقها — تعتبر زواجه قتلاً لها.

وبعد الزواج تقيم الأم في بيت واحد مع ولدها وعروسه، و يؤدي ذلك

الى قيام جو أسرى مشحون بالتوتر المؤلم . تتخذ الأم والزوجة كل من الأخرى موقفاً سلبياً . كل منهما تتهم الأخرى بأنها تكرهها . وتصبح حياة كامل معهما جحيماً حارقاً . فهو مع زوجه يعاني من العجز الجنسي الذى أورثه إياه عدم الثقة بنفسه ، كما ابتلاه به إحساسه اللاشعوري بان زوجه ليست سوى صورة وبديل لأمه . وهو مع أمه يعاني الجفوة الجارحة والسلبية الممضة . يقول : «وكان سوء الحظ لم يقنع بما رمانى به في نفسي (مشيراً بذلك الى عجزه ومعاودته العادة السرية المردولة وفقدته ثقته بنفسه وبداية فقدته لثقتة بزوجه وخوفه من فقدان حبها) ، فرماني بأمي أيضاً... وأمي على تأديبها لم تكن لتفلح في مداراة عواطفها ، فان لم يخنها لسانها خانتها عينها ، وإن لم تخنها عينها نمت عليها ما التزمت به من حال غريبة سلبية . انطوت على نفسها ، وجعلت من حبرتها سجنًا لا تكاد تغادره ، وكأنما فرغت للعبادة والصلاة ، ولم تخف على رباب هذه الجفوة الطويلة... فكانت لا تفتأ تقول لي : «لشد ما تكرهني أمك»، ولم تقبل أمني أن تغير سلوكها... وكنت إذا ذهبت للجلوس معها تلقنني برقة وابتسام ، وحدثني بخضوع واستسلام ، فسرعان ما أشعر بغربة الجو ، وبأن حجاباً ثقيلاً يقوم بين نفسيها... وما أكاد أفاطمها بأن زوجي تضيق بتحفظها حتى تقول لي بحدة : «إن زوجك تكرهني ، هذا كل ما هنالك.» وكنت أتجلد وأتصبر والألم يمتص نفسي والكآبة تغشى روحي» (صفحة ٧٣).

كانت الأم تعاقب ولدها كامل بأكثر من وسيلة : السلبية والجفوة داخل البيت ، ومغادرة البيت من حين لآخر بدعوى زيارة ابنتها راضية وبدعوى أن وجودها في بيت ولدها لا معنى له لأنه يضايقه ، وبالوقوع في المرض بعد كل مشادة كلامية مما يجعله يندم ويحزن ويكفر عن ذنبه بمضاعفة إظهار الحب لها والسهر على راحتها . ولكن أهم ما في الأمر أن حياته الزوجية أصبحت حياة مسمومة بالخضام المتواصل والنكد المقيم . ولم يأت الخلاص من هذا الجحيم إلا بموت زوجته ميتة فضحت خيانتها له واقتلعت حبها من قلبه ، وموت أمه بعد ذلك مباشرة بعد أن قتلها هو بكلمات جارحة أمضى حداً وأعماق طعنًا من السيف

الذى قتل به (أورست) أمه (كلايتمسترا) . و يعاني كامل بعد ذلك ما عاناه (أورست) و (بول). يعيش فترة عصيبة قوامها المرض واتهام النفس والشعور بالذنب والتكفير عن ذلك بمعاقة نفسه وتمتني الموت. ولكن عنايات تنقذه في آخر الأمر وتضعه، كما يبدو، على أول الطريق نحو حياة سوية.

ثالثاً: زواج بلوتو (PLUTO) وبيرسيفون (PERSEPHONE):

وفي روايتي أبناء وعشاق والسراب أصدقاء من أسطورة زواج بيرسيفون (أما ديمتر الهة الأرض وربة الخصب وأبوها زيوس رئيس الآلهة) من بلوتو (ملك عالم الموت).^(٢٠) كانت (بيرسيفون) الجميلة التي ترمز للربيع والخصب والرخاء تنزه ذات يوم في البراري بين الأزهار والرياحين فرآها (بلوتو) وقُتِنَ بها فخطفها ونزل بها الى قصره في العالم السفلي وتزوجها. وحين افتقدت الأم ابنتها وعلمت بما حل بها غضبت أشد الغضب وحزنت أعظم الحزن واعتزلت كل الآلهة ونزلت الى الأرض وعاشت في هيكَل أقامه لها بنو البشر قرب مدينة أثينا. وبسبب حزن ديمتر تحيَّم القحط على جميع أنحاء الأرض وكاد الحيوان والبشر والطير والشجر يهلكون جميعاً لولا أن تدخل زيوس ورتب الأمور بشكل يرضي جميع الأطراف. وبموجب هذا الترتيب تعود بيرسيفون الى ظهر الأرض لتعيش مع أمها ثمانية أشهر من كل عام (الربيع والصيف وأول شهرين من الخريف)، ثم تنزل بقية العام الى بطن الأرض لتعيش مع زوجها بين الأموات. وهكذا صارت الأرض ديمتر تلبس ثياب الحزن والحداد والقحط أربعة أشهر من كل عام، فاذا ما عادت اليها ابنتها لبست حللاً جميلة وأشرق وجهها بالزهر والثمر والجمال والخير، وعم الفرح والسرور كل المخلوقات. لكنه ليس جالاً صافياً ولا سروراً خالياً من الكدر، لأن ذكرى الموت المتربص تغلف الجمال بغلالة من الحزن وتوشح الأفراح والسرور بوشاح من القلق. إنها سعادة الحياة التي يعكرها أنها ليست دائمة، وتعاسة الموت التي يخفف وطأها الأمل بعودة الحياة.

ومضمون هذه الأسطورة يتلخص في أن الزواج في مجتمع الأسرة الأبوية يعنى انتقال الفتاة من بيت أبيها الى بيت زوجها لكي تضع نفسها تحت تصرفه ورهن إشارته ولتكون بهجة وسكينة له في النهار والنور وفراشاً له في الليل والظلام. بكلمات أخرى، إنها تخسر دورها كابنة مدللة محبوبة ويفرض عليها دور جديد تقوم فيه باخضاع إرادتها لأرادة زوجها وإذا به شخصيتها في شخصيته. وهذا التغير في حياتها إنما هو انحدار من أعلى لأسفل، من على ظهر الارض برياحينه وأزهاره ورياضه الى بطن الارض بما فيه من تحلل واضمحلال وفناء.

من ناحية أخرى فإن هذا الزواج ليس، بالنسبة للزوجة، إلا الموت الذي ينجب الحياة. وهذا يقتضى قيام تغير جديد في حياة المرأة واضطلاعها بدور جديد هو دور الأم التى تصنع الحياة في رحمها وتصنع اللبن في صدرها لكي تغذى عليه الحياة الجديدة. إن الأمومة هى المرحلة الثانية من هذا الموت الذى يبدأ بالزواج وينتهى بالأمومة لكي تنبثق منه الحياة.

وإذا تأملنا رواية **أبناء وعشاق** أو رواية **السراب** وجدنا أن الجزء الأول منها يُمَسَّح مضمين الزواج نفسها بالنسبة للآنسة (جرتروود كوبارد) وللآنسة (زينب عبد الله حسن). كل منهما تنسلخ عن دنيا والديها فتصبح الأولى السيدة (جرتروود موريل) وتصبح الثانية حَرَمَ رؤية لآظ. والزواج بالنسبة لكل منهما كان انحداراً وخسراناً. فالسيدة موريل انحدرت في السلم الاجتماعي من ابنة تجار ميسورين ومهندسين مثقفين الى زوجة عامل في المناجم، جاهل وفقير، وَقَفَّ وسكين، يقضى معظم نهاره في بطن الأرض في المناجم ولا يأتي زوجته إلا في ظلام الليل. كذلك فإن حرم رؤية بك لآظ تجد نفسها وقد خسرت ما كانت تنعم به من رقة وحنان وتدليل في بيت أبيها وابتليت بالامتهان والأذلال والضرب والاهمال على يدي زوج جاهل وعاطل وفاسق وسكير. كانت الحياة معه هى الموت بعينه.

لكن السيدة موريل سرعان ما تتحول من زوجة الى أم، وحينذاك تتمرد على

زوجها وتذله، وتهمله وتنساه، وتتفرغ لتنشئة الحياة الجديدة المتمثلة في أولادها، وكذلك تفعل حرم رؤية بك لاط، فهي لا تقيم في بيت زوجها إلا لتحمل منه، فاذا ولدت أعيدت اليه ليخصبها من جديد، فاذا ما أخصبها تركته، وهكذا الى أن أصبح لديها منه ثلاثة أطفال. وحينذاك تتخلص منه نهائياً بالطلاق والانفصال لكي تضطلع بدور الأم فقط، وتتحول من حرم رؤية بك لاط الى أم كامل.

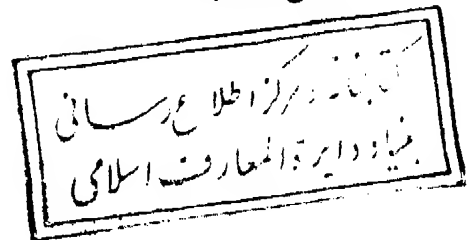
رابعاً: ميديا وطفلاها: (٢١)

ولكن طريقة قيام السيدة موريل أو أم كامل بدور الأمومة تتميز بشيء من الشذوذ وكثير من الانحراف. ويتمثل الشذوذ في إقامة علاقة من العشق العميق بينها وبين ولدها بحيث يتفانى هو في حبها ونيل رضاها كما تتفانى هي في حبه ومحاولة إسعاده. أما الانحراف فيتخذ شكل الرغبة الجامحة لدى الأم في السيطرة على ولدها وإحكام ملكيتها له بحيث يستحيل عليه أن يفلت من قبضتها ويتعذر على أية امرأة أخرى أن تنتزعه منها، وبحيث تفضل هي ان ترى ولدها ميتاً على أن تراه محبباً لامرأة أخرى ومحبوياً لديها، ولو كان في هذا الحب المتبادل سعادة ولدها وصلاح أمره. وحين يصل بها الأمر الى هذا الحد، فانها تكرر، بطريقة عصرية، ما فعلته الأميرة ميديا بطفليها.

وملخص قصة الأميرة ميديا هو أنها تقع في غرام الأمير (جيسون) الذي جاء بلادها سعيّاً وراء الفروة الذهبية (The Golden Fleece)، ولذلك تساعد بهما لديها من علم وسحر في الحصول على تلك الفروة الذهبية والعودة بها الى بلاده. ولكي تضمن له السلامة والفوز تحون وطنها وتفتشي له اسرار أبيها وتغدر بأخيها، ولهذا تضطر الى مغادرة بلادها مع حبيب قلبها فتفرمعه الى بلاده حيث تحميه من أعدائه وتمكنه من استعادة عرش أبيه من المقتصب عمه. ومقابل هذه الخدمات والتضحيات كلها يتزوجها جيسون وينجب منها طفلين. وبعد ان يتحقق

لجيسون ما كان يشتهي من ملك وسلطان وشهرة وأمان يصاب بلوثة الكبرياء فيطمح الى توسيع ملكه عن طريق الزواج من الابنة الوحيدة لملك كورنث، ويتناسى واجبات الوفاء والاخلاص والعرفان لزوجته ميديا. وتغضب ميديا، وتعاتبه، وتمنّ عليه بما قدمت من تضحيات، وتذكره بما سيكون عليه حالها إذا تخلى عنها من ضعف وشماتة وهوان. فيواجهها بالبحود والنكران و يزعم أنه منحها أكثر مما أخذ منها. وإزاء حدة طبيعتها وفعالية سحرها وحدة ذكائها وسعة حيلتها يخاف ملك كورنث على ابنته منها فيقرر طردها مع طفليها من البلاد، ويتعهد زوجها الغادر أن يزودها بما تحتاج اليه من مال وزاد. وحين تأس من الاحتفاظ بزوجها ورده الى الصواب تقرر الانتقام منه قبل أن تُنقَى و يفوت الأوان، فتهدى عروسه ثياباً ثمينة مسمومة تقتلها في الحال، ثم تقتل طفليها منه بيديها نكاية بأبيهما، ولتقذهما — كما تزعم — من العيش كالايتام بين الغرباء اللثام.

ان ما تفعله السيدة موريل بولدها البكر (وليم) الذي يموت متأثراً بالآلام التمزق بين سلطان أمه عليه ورغبته في التحرر من سيطرتها، وما تفعله بولدها (بول) الذي تحبسه في قمقم محبتها وتمنعه من ممارسة حريته في حب من يشاء، وما تفعله أم كامل مع ولدها كامل، لا يختلف في جوهره عما تفعله ميديا بطفليها. كل من هؤلاء الأمهات تتصرف بأنانية بالغة متنكرة في زي التضحية. ويعبر كامل عن مثل هذا الرأي في أكثر من موقف فيقول (في صفحة ٧٥) أن أمه تعدّ سعادته بامرأة غيرها «كفرأ لا يغتفر». ويقول: «ربما كان الضرر يقع بي أخف لديها من كشف حبي». ويقول (في صفحة ٨٣) «أنها ذكرت نفسها أكثر مما ينبغي ونسيتني أكثر مما ينبغي .. فرميتها بالأنانية». كذلك يعبر د. هـ. لورنس عن موقف مماثل للسيدة موريل، وملخصه أنها تود لو يموت ابنها (بول) معها. يقول: «وأحياناً كان (بول) وأمه ينظران كل في عيني الآخر، وحينذاك كان يبدو وكأنهما يعقدان اتفاقاً، وأن (بول) يوافق بموجب هذا الاتفاق أن يموت هو أيضاً» (ص ٤٧٧).



(٣)

اصداء اخرى

تتميز رواية أبناء وعشاق بشرة كبيرة من الاشارات الى قصص ومواقف وشخصيات أخرى من التراث الأدبي اليوناني والانجليزي ومن التراث الديني المسيحي.

من هذه الاشارات، على سبيل المثال، قصة الثلاثي المؤلف من (كلارا) وزوجها الحداد (باكستردوز) وعشيقتها (بول). تذكرنا هذه القصة بأسطورة (افروديت) ربة الجمال، وزوجها (هيفايستوس) ابن زيوس وحداد الآلهة الأعرج، وعشيقتها (آرس) اله الحرب. وملخص هذه الأسطورة أن (افروديت) عشقت (آرس) ومارست معه الجنس فترصدهما زوجها حتى أوقعهما في شبكة من شباكه وهما متلبسان بجرمة الزنا وجعلهما اضحوكة للآلهة. (٢٢)

كذلك يشير (بول) الى (كلارا) بأنها (بنيلوبي) جديدة. وقد أشرنا من قبل الى إحدى الصفات التي اشتهرت بها (بنيلوبي)، وهي الوفاء لزوجها رغم غيابها عنها عشرين سنة. وليست هذه هي الصفة التي يقصدها (بول). إنه يقصد (بنيلوبي) التي رفضت، بالحيله والدهاء، كل الأمراء والشباب الذين توافدوا الى قصرها حين أشيع أن زوجها (عوليس) قد مات، وراحوا يخاطبون ودها و يلحون عليها أن تختار واحداً منهم زوجاً لها. وادعت أنها ستفعل ذلك، لكنها طلبت منهم أن يمهلوها حتى تتم حياة بساط كانت قد بدأت. ولبوا طلبها ظناً منهم أن الأمر لن يستغرق وقتاً طويلاً. ولكنها كانت تفك في الليل ما تحيكة في النهار، واستمرت تفعل ذلك حتى عاد زوجها وقضى على جميع الطامعين فيها. وجه الشبه هنا هو أن (كلارا) أيضاً كانت تعمل في النسيج والحياكة بعد أن خانها زوجها فهجرته وانفصلت عنه. كانت (كلارا) قد انضمت الى إحدى الحركات النسائية التي تطالب بتحرير المرأة ومساواتها بالرجل. وقد انكبت على عملها بصبر وأناة لتكسب قوتها وتستقل اقتصادياً ولتدفع عن نفسها طمع الطامعين من الرجال.

ومرة ثالثة يُشَبَّه (بول) (كلارا) بملكة سبأ التى يرد ذكرها فى التوراة فى قصة تجمع بينها وبين الملك سليمان.

و يشير دانيال ويس (Daniel A. Weiss) الى أن لورنس يعالج (كلارا) وكأنها مريم المجدلانية التى عابت ثم تابت والتى ترد قصة خطيئتها وتوبتها على يد السيد المسيح فى الانجيل (Farr, 1970 : 34 - 40).

أما السيدة (جرتورد موريل) فيذكرنا اسمها الأول بالملكة (جرتورد) فى مسرحية هاملت الشهيرة. كذلك فان مريم حبيبة (بول) هي سمية مريم العذراء أم السيد المسيح، وتذكرنا طريقة معالجة لورنس لمريم هذه بمريم العذراء وبالمعاني والمضامين الفكرية والأخلاقية التى ينطوي عليها اسمها.

وإذا كانت رواية **أبناء وعشاق** تعكس بشكل ثرى وعميق التراث اليونانى — الانجليزى — المسيحى الذى أنجب لورنس، فان رواية **السراب** تعكس تراثاً متميزاً آخر هو التراث المصرى العربى الاسلامى. ومن الأسماء التى تعكس تراثاً إسلامياً اسم زينب التى تواظب على زيارة مقام السيدة زينب. أما اسم روبة لآظ فيردد صدى الحكم العثمانى ويرمز الى العرق التركى الذى ذاب فى شعب مصر. والأميرالاي عبد الله بك حسن واللواء على باشا سلام زوج عنايات يذكرا لنا بالمؤسسة العسكرية فى مصر وما تمنحه للرؤساء العاملين فيها من امتيازات طبقية. وكامل اسم ساخر يطلق على إنسان ليس فيه من الكمال شيء يُذكر. كذلك فان الاحداث فى السراب تتم بطرق وأساليب يتميز بها مجتمع غافل متخلف يفهم الإسلام فهماً متخلفاً ويمارس القيم والافكار بأساليب تقليدية خاطئة. فأساليب الزواج والطلاق فى هذه الرواية تتميز بشكل واضح من أساليب الزواج والطلاق فى مجتمعات أخرى. وتلاوة القرآن فى المذيع، وأثر الآيات القرآنية على عواطف الناس وتصرفاتهم هما جزء لا يتجزأ من حياة المسلمين فى مصر. كذلك فان اللجوء الى الدجالين والمشعوذين لحل المشاكل المستعصية،

كمشكلة نجاح كامل في الدراسة مثلاً، أمراً تجدد له مثيلاً إلا في المجتمعات الجاهلة المتخلفة. يقول كامل :

كانت أمي من ناحيتها تزور أم هاشم وتنذر النذور، وتشد حول عنقي التعاويذ ولا أنسى مرة — وكنت قريباً من امتحان الكفاءة — جاءني بامرأة ممن يقرأن الغيب مستعيذة بقدرتها على إنجاحي، فحرقت المرأة بين يدي البخور، وركزت في المدفأة عصا قصيرة وأمرتني أن أقفز فوقها ثلاث مرات، وفعلت ما أمرت به فقالت لي بيقين : ستنجح باذن الرحمن ولما سقطت في الامتحان قلت لأمي متعجباً : «كيف أسقط وقد قفزت المرات الثلاث؟» (ص ٥٨).

كذلك فإن زيارة القبور والأضرحة والتوسل بالصالحين والأولياء للشفاء من أمراض خبيثة أو من عادات سيئة أمور كانت لا تزال مألوقة في مصر أثناء العهد الذي تعكسه السراب (مثلاً صفحة ٩٢، ١٩٢، وفي غيرها).

بهذا ينتهى هذا البحث الذى أوضح ان أبناء وعشاق والسراب تلتقيان في المضمون وتعالجان مواضيع متشابهة أهمها مضار الزواج غير المتكافيء على بناء الاسرة وتطورها في المجتمع الأبوي. وتتمثل هذه المضار في قيام الاختلاف بدل الائتلاف بين الزوجين، وتمزق الاسرة الى معسكرين متعاديين: معسكر الأم ومعسكر الأب، ووقوف الأبناء بجانب أهمهم ضد أبيهم، ونشوء العقدة الأوديبية عند بعضهم في مرحلة الطفولة. كما تعرض هذا البحث لمرحلة المراهقة لدى الأبناء وما قد يقوم فيها من صراعات في معسكر الأم وما قد ينجم عن ذلك من نشوء العقدة الأورستية لدى الأبناء ونشوء عقدة (ميديا) لدى الأمهات.

وسندرس في بحث لاحق التكنيك الروائي في كل من الروايتين، ونأمل أن نبين مظاهر الاتفاق أو الاختلاف في الأساليب الفنية التي يلجأ إليها د. هـ. لورنس ونجيب محفوظ لمعالجة مواضيع واحدة.

الهوامش

- ١ — كل النصوص الخاصة بهذه الرواية والتي نستشهد بها في هذه الدراسة مأخوذة من الطبعة الانجليزية التالية:
- (D.H Lawrence, Sons and Lovers (London, Penguin Books, 1977)
- ٢ — النصوص التي نستشهد بها مأخوذة من الطبعة التالية:
نجيب محفوظ، السراب (بيروت، دار القلم، ١٩٧٧)
- ٣ — قصص السيرة وقصص السيرة الذاتية الموجودة في الأدب الانجليزي تسمى أحياناً «روايات النشأة والتربية» (Novels of Formation and education) ومن أشهر الأمثلة عليها القصة التي ترويها قصيدة (وليم ويرد زويرث) المشهورة بعنوان The Prelude، وقد بدأ كتابتها عام ١٧٩٨ وأنهاها عام ١٨٠٥ ولكنها لم تنشر إلا بعد وفاته في عام ١٨٥٠. ومنها رواية جورج ميريدث (George Meredith) بعنوان محنة ريتشارد فيقريل Ordeal of Richard Feverel عام ١٨٥٩، ورواية صمويل بطزر بعنوان طريق كل البشر (The Way Of All Flesh) نشرت بعد وفاة المؤلف بعام واحد، سنة ١٩٠٣، ومنها رواية لسومرست موم Somerset Maugham بعنوان الرق البشري Of Human Bondage (عام ١٩١٥)، ورواية جيمس جويس بعنوان صورة للفنان في شبابه (١٩١٦). ويمكننا أن نعتبر الأيام وأديب، وكلاهما لطفه حين، من هذا النوع من القصص (انظر كتاب الدكتور محمد حسن عبد الله، ١٩٧١، ص ١٧٩ — ١٨٠).
- ٤ — ينبغي عدم الخلط بين قصص السيرة وكتب السيرة، فالأولى فنية بحتة والثانية تاريخية صرف. وفي حين يتمتع مؤلف قصة السيرة بحرية اطلاق العنان لخياله ليخلق ما يشاء مما يتفق مع الطبيعة الفنية للقصة، فإن مؤلف كتاب السيرة مضطر للالتزام بأمانة بالوثائق التاريخية التي يستقي منها مادته.
- ٥ — لمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع انظر (Draper, 1976) وخصوصاً المقدمة (ص ١٧ — ٢٩)، وبحث المؤلف (Draper) لرواية ابناء وعشاق (ص ٣٧ — ٥٣). كذلك انظر: (Farr, 1970:3) و (Chambers 1935) وفيه تشرح جيسي تشيمبرز (صديقة لورنس في مراهقته وأوائل شبابه) مقدار الحقيقة والخيال في رواية ابناء وعشاق التي يعطيها لورنس فيها دور مريم. كذلك أنظر (Moore, 1976 : 24, 27, 30, 32, 55, 62, 64, 72, etc)
- ٦ — لقد رجعنا الى معظم ما كتب عن حياة نجيب محفوظ وعن رواياته وعن رواية السراب بالذات، ولم نجد إشارة واحدة الى أن في السراب شيئاً خاصاً عن حياة مؤلفها.
(أنظر بشكل خاص كتاب د. سلام، ١٩٧٣: ٢٥٧ — ٢٧١، وكذلك كتاب د. ياغي، ١٩٧٢: ٨١ — ١٣١).

- ٧ — وردت هذه المقولة في قصيدة «The Rainbow» عام ١٨٠٢، ثم جعلها (ويرد زويرث) تمهيداً وافتتاحية لقصيدته المشهورة «The Prelude».
- ٨ — لمزيد من التفاصيل عن هذه الاساطير الميثولوجية أنظر (Hamilton, 1961: 24.46) وكذلك (Kramer, 1961: 216 - 276).
- ٩ — انظر نص مسرحية ميديا في (Robinson Jr. (ed) 1961: 141-181) وكذلك انظر قصة «الفروة الذهبية» في (Hamilton, 1961: 117- 130).
- ١٠ — انظر مقالة جورج فورد بعنوان «The S Curve: Persephone to Pluto» في كتاب (Farr, 1970: 70).
- ١١ — انظر القصة في (Kramer, 1961: 242. 243) وفي (Hamilton, 1961: 236-261). إما نص المسرحية فموجود في ثلاثة نصوص اثنان بالانجليزية وثالث بالعربية. أنظر فهرس المصادر تحت Sophocles وسوفوكل).
- ١٢ — انظر قصة أورست مع أمه ضمن قصة أسرة أترئوس في (Hamilton, 1961: 236. 253) وعلى الأخص الصفحات ٢٤٠ — ٢٤٨، وفي (Kramer 1961: 240-242). كذلك انظر القصة في (Aeschylus, 1971) المقدمة (ص ٩ — ٣٧) وفي نصوص المسرحيات الثلاثة: «أغاممنون، وحلة القرابين، وربات الغضب والانتقام» وانظر فهرس المصادر تحت Aeschylus، وتحت (Robinson Jr., 1960) و (Robinson Jr., 1961).
- ١٣ — يرى سيلكا (Spilka) أن السيدة موريل ليست وحدها المسؤولة عن انهيار زوجها معنوياً وتهديمه جسدياً. فالزوج (والتر) مسؤول أيضاً. شأنه شأن كل الأزواج الفاشلين في روايات لورنس. فلولا ضعف إرادتهم وعدم تماسك شخصياتهم لوضعوا حداً لتسلط زوجاتهم (Farr, 1970: 70). أما دكتور طه محمود طه فيرى أن لورنس كان «حساساً جداً... لأى تسلط من جانب المرأة على الرجل..... وكان لورنس يتنظر الى تسلط المرأة على الرجل، سواء كان ذلك عن طريق الحب أو الحنان، على أنه الخطيئة الأولى ضد القانون الطبيعي، وجعله هذا الاعتقاد ينظر الى جهود المرأة في الحصول على المساواة بالرجل وكأنها مسؤولة عن كل شقاء وتعاسة نجدها في العالم.... وفيما بعد أخذ يرى نفسه في صورة والده في صراعه مع أمه». (طه، ١٩٦٦: ١٨٨ — ١٨٩). وحين يتحدث د. طه عن انهيار الزوج في أبناء وعشاق (طه، ١٩٦٦، ١٩٢ — ١٩٣) يبدو أنه يحمل السيدة موريل معظم المسؤولية في ذلك الانهيار.
- ١٤ — لاحظ وصية الأم لولدها كامل وهو بهم بالذهاب مع جده (والد أمه) لمقابلة أبيه لأول مرة في حياته. تقول له: «قابله إذا قابله بأدب فهو أبوك على أى حال، ولكن لا تنس فيما بينك وبين نفسك أنه هو الذى عذبنا جميعاً» (السراب، صفحة ٤٧).
- ١٥ — «ديمتري» هو الابن الأكبر لـ (فيودور كارامازوف) في رواية دوستويفسكي المشهورة، الاخوة كارامازوف. يُتهم «ديمتري» بقتل أبيه ويحاكم على هذا الأساس، وقد قام الدكتور عز الدين اسماعيل بتحليل الرواية في كتابه التفسير النفسي للأدب (صفحات ٢١٢ — ٢٤٩)،

وخصص قسماً كبيراً من دراسته التحليلية (٢٢٣ - ٢٣٧) لدراسة شخصية «ديمترى» دراسة نفسية وتحليلية.

١٦ - هاملت، كما هو معروف، بطل مسرحية شكسبير بعنوان هاملت. هاملت أيضاً، مثل أורست، يقتل أمه وزوجها الثاني. كما أنه، مثل أورست، يلعب دور الابن الذى يتمزق بين حبه لأمه وواجب الانتقام لأبيه، مما جعله يتردد ويأطل في الانتقام. ويشترك «أورست» و «هاملت» و «ديمترى» في جريمة قتل أحد الوالدين (Patricide). ويحاول الدكتور عز الدين اسماعيل أن يوضح العقدة الأورستية في سلوك هاملت (اسماعيل، ١٩٦٣: ١٣٠ - ١٦٣) أولاً، ثم في سلوك ديمترى، ثم في سلوك كامل بطل السراب الذى قام هو الآخر، حسب اتهامه لنفسه، بقتل أمه (اسماعيل، ١٩٦٣: ٢٥٠ - ٢٧١).

١٧ - انظر قصة (بنيلوبي) ووفاتها لزوجها طيلة عشرين سنة من غيابه، وهذه القصة جزء أساسي من قصة الملحمة المشهورة المنسوبة الى هوميروس، وهي الأوديسة. كذلك يمكن الاطلاع على قصة (بنيلوبي) في (Hamilton, 1961: 202 - 219).

١٨ - انظر شرح الدكتور طه محمود طه لموقف لورانس من تسلط المرأة على أسرتها واغتصابها لحق رئاسة الاسرة من الأب (طه، ١٩٦٦: ١٨٨ - ١٨٩).

١٩ - أمازونية نسبة الى النساء الأمازونيات، وهن نساء محاربات كارهات للرجال. وتروي الاساطير انهن كن يعشن في القوقاس، ويؤلفن أمه من النساء الجميلات رغم كونهن محاربات. وفي الحروب الطروادية حاربن الى جانب الطرواديين ضد اليونانيين. وتروي إحدى القصص أن (أخيل) قتل ملكتهن وبكى بعد ذلك على شبابها وجمالها. انظر (Hamilton, 1961: 287).

٢٠ - بالنسبة لأصدقاء هذه الأسطورة في رواية أبناء وعشاق انظر مقالة

George H. Ford, «The S Curve: Persephone to Pluto»

وهذه المقالة موجودة في (Ford, 1965: 28 - 44) وفي (Farr, 1970: 64.73). أما بالنسبة للسراب فهذه أول مرة فيما أعلم ينظر اليها فيها على ضوء هذه الاسطورة.

٢١ - لمزيد من المعلومات عن تفاصيل قصة الأميرة ميديا وزوجها وطفليها انظر قصة «البحث عن الفرو الذهبية» «The Quest for the Golden Fleece» في (Hamilton, 1961: 117 - 130) وفي (Inness, 1955: 168 - 193). كذلك انظر مسرحية «ميديا» للكاتب يوريبديس (Euripides) في (Robinson Jr., 1961: 141 - 181).

٢٢ - لمزيد من التفاصيل انظر (Hamilton, 1961: 34). وبالنسبة للمطابقة بين اسطورة الثلاثي (افروديت - هيفايستس - آرس) وقصة الثلاثي (كلارا - باستر دوز - بول موريل) انظر (Farr, 1970: 21).

المصادر

Lawrence, D.H. **Sons and Lovers**. London :Penguin book, 1977.

(First published 191)

محفوظ، نجيب. السراب . بيروت : دار القلم، ١٩٧٧ (نشرت أول مرة عام ١٩٤٨)

المراجع العربية

اسماعيل، دكتور عز الدين. التفسير النفسي للأدب. سلسلة علم النفس والحياة. القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٣.

حسين، طه. من الادب التمثيلي اليوناني: سوفوكليس. القاهرة: دار المعارف، (١٩٣٩).

الراعي، دكتور على. دراسات في الرواية المصرية. القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطبعة مصر، ١٩٦٤.

راغب، نبيل. قضية الشكل الفني عند نجيب محفوظ: دراسة تحليلية لاصولها الفكرية والجمالية القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥.

سلام، د. محمد زغلول. دراسات في القصة العربية الحديثة: أصولها، اتجاهاتها، أعلامها. الاسكندرية: منشأة المعارف، جلال حزي وشركاه، ١٩٧٣.

سمعان، دكتور انجيل بطرس. «الرواية الانجليزية المترجمة الى العربية». الكويت: عالم الفكر العدد الثالث، ١٩٨٠ صفحات ٤١ - ٨٤.

سوفوكل. أوديب الملك. (ترجمة وتقديم د. علي حافظ). الكويت: سلسلة من المسرح العالمي. العدد ٣/٣٥، ١٩٧٢.

الشاروني، يوسف. دراسات في الرواية والقصة القصيرة. القاهرة: الانجلو المصرية، ١٩٦٧.

- شكري، غالي. المنتمى: دراسة في أدب نجيب محفوظ. مكتبة الدراسات
الادبية رقم ٥١، الطبعة الثانية. القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٦٩.
«معنى الجنس في أدب نجيب محفوظ»، الكاتب، يناير، ١٩٦٣.
طه، دكتور طه محمود. دراسات لعلام القصة في الادب الانجليزي
الحديث. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٦٦.
عبد الله، دكتور محمد حسن. الواقعية في الرواية العربية. القاهرة: دار
المعارف بمصر، ١٩٧١.
الاسلامية والروحانية في أدب نجيب محفوظ. الكويت: مكتبة
الامل، ١٩٧٢.
الحب في التراث العربي. الكويت: عالم المعرفة رقم ٣٦، ديسمبر
١٩٨٠.
فرج، نجية. «محاولة نقدية لقصة السراب»، الأدب، نوفمبر، ١٩٦٠.
الموافي، دكتور محمد اسماعيل. «الطروبادور والحب الرفيع»، عالم الفكر
العدد الثالث، ١٩٨٠، صفحات ١٠١ — ١٤٠، الكويت.
نجم، دكتور محمد يوسف. فن القصة. الطبعة السادسة. بيروت: دار
الثقافة، ١٩٧٤.
نوفل، دكتور يوسف. قضايا الفن القصصي: المذاهب، اللغة، النماذج
البشرية. القاهرة: دار النهضة العربية ١٩٧٧.
وادي، دكتور طه. صورة المرأة العربية في الرواية المعاصرة. القاهرة: مركز
كتب الشرق الأوسط، ١٩٧٣.
ياغي، دكتور عبد الرحمن. الجهود الروائية من سليم البستاني الى نجيب
محفوظ. بيروت: دار العودة، ١٩٧٢.

ENGLISH REFERENCES

- Aeschylus. **The Orestian Trilogy: Agamemnon, The Choephoroi, The Eumenides.** Translated by Philip Vellacott. Penguin Classics, 1971.
- Andrews, W.T. **Critics on D. H. Lawrence**, London: George Allen and Unwin Ltd., 1976. (First published, 1971).
- Chambers, Jessie. **D. H. Lawrence, A Personal Record.** London: Jonathan Cape Ltd., 1935.
- Drapers, Ronald P. **D. H. Lawrence.** London: The Macmillan Press Ltd., 1976.
- Euripides. **Medea.** (tr. by R.C. Trevelyan), in (Robinson, Jr., 1961; 141-181).
- Farr, Judith, (ed.). **Twentieth Century Interpretations of Sons and Lovers: A Collection of Critical Essays.** N.J., Englewood Cliffs, Prentice Hall Inc., 1970.
- Ford, George H. **A Study of the Novels and Stories of D. H. Lawrence.** New York: Holt, Rinehart and Winston, 1965.
- "The 'S' Curve: Persephone to Pluto", in (Ford, 1965: 28-44) and in (Farr, 1970: 64-73).
- Hamilton, Edith. **Timeless Tales of Gods and Heroes.** New York: Meuton Books, 1961 (first published, 1940).
- Inness, Mary M. (translator). **The Metamorphoses of Ovid.** Penguin Classics, 1955.
- Kramer, Samuel Noa. **Mythologies of the Ancient World.** New York: Anchor Books, 1961.
- Moore, Harry H. **The Priest of Love: A Life of D. H. Lawrence.** London: Penguin Books, 1976 (first published, 1974).
- Niven, Alastair. **D. H. Lawrence: The Novels,** London: Cambridge University Press, 1978.
- Ovid. **Metamorphoses of Ovid** (translated by Mary M. Inness). Penguin Classics, 1955.

Robinson Jr., C.A. (ed.). **An Anthology of Greek Drama** (First Series)
New York: Holt, Rinehart and Winston, 1961.

An Anthology of Greek Drama (Second Series). New York:
Holt, Rinehart and Winston, 1960.

Sasson, Somekh. **The Changing Rhythm: A Study of Najib Mahfuz's
Novels**, Netherlands, Leiden: E.J. Brill, 1973.

Shakespeare William. **Hamlet**.

King Lear.

Sophocles. **Oedipus the King** (translated by David Grene), in (Robinson
Jr., 1961: 51-100)

Sophocles. **The Theban Plays: King Oedipus, Oedipus At Colonus,
Antigone** (tr. by E.F. Walting). London: Penguin Classics, 1970.

Spilka, Mark. **The Love Ethic of D.H. Lawrence**. London: Dennis
Dobson, 1965.

"Counterfeit Loves" in (Spilka, 1965: 60-89) and in (Farr, 1970:
51-63).

Weiss, Daniel A. **Oedipus in Nottingham: D.H. Lawrence**. Seattle:
University of Washington Press, 1962.

"The Mother in the Mind" in (Weiss, 1962: 39-68) and in (Farr,
1970: 28-41).



LAWRENCE AND MAHFUZ : A COMPARATIVE LITERARY AND PSYCHOLOGICAL STUDY

by:
Mohammad Raja A.R. Al-Direeni
Department of English
Kuwait University

ABSTRACT

This paper points out that **Sons And Lovers** (1913) and **Al-Sarab** (1948) dramatise the same topics and themes such as the disastrous effects of an unequal marriage on the husband and wife, and on the structure of the family in patriarchal societies. Such unequal marriages lead to permanent strife between husband and wife, and to the division of the family into two opposed camps: the father's camp and that of the mother. The children stand by their mother against their father. Some children develop the Oedipus complex. The mother dominates the children and becomes their adored idol and beloved tyrant.

It is also shown that both novels portray the strife between mother and son when the son becomes an adolescent and a young man, and the development of the Orestian complex in the son and of the Medea complex in the mother.

The paper describes the echoes in both novels of some Greek legends and myths, especially the story of King Oedipus, the story of Orestes and his mother Clytemnestra, the story of Medea, and the myth of Pluto and Persephone. The paper explains the symbolic meanings and implications of such stories, and points out the significance of such stories to psychology and to art - particularly novel writing. Then it traces the echoes of these Greek stories in both **Sons And Lovers** and **Al-Sarab**.

THE AUTHOR

Dr. Mohamad Raja Al-Direeni

- ★ PH. D. in English Literature, 1977.
- ★ Lecturer on the English Novel and Utopian Fiction.

PUBLICATIONS

- ★ Short Stories (in Arabic)
- ★ A Novel in Arabic, ALIA (1965)
- ★ Four Plays translated into Arabic including:
 - Arthur Miller's, **The Misfits**, (1980)
 - Moss Hartisand George Koffman's, **You Can't take it with you** (1981)
- ★ A translation into Arabic of Karl Monnheim's **Ideology and Utopia** (1980)

**THIRTEENTH MONOGRAPH
(LITERATURE)**

**LAWRENCE AND MAHFUZ:
A COMPARATIVE LITERARY
AND PSYCHOLOGICAL STUDY**

Dr. MOHAMAD RAJA AL-DIREENI

**Department of English Language and Literature
Kuwait University**